حضارة التوحيد

كيف نعيد مجدها؟

بقلم

على القاضي





الطبعة الأولى

ذو الحجة ١٤٢٦هـ - ديسمبر ٢٠٠٥م

تمهيد

لقد أرسل الله سبحانه وتعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ليكون رحمة للعالمين .

ولينقذ الناس جميعا فيخرجهم من الظلمات إلى النور وقد تكفل الخالق سبحانه وتعالى بحفظ القرآن الكريم على امتداد الزمان والمكان وفي فترة الدعوة إلى الله سبحانه وتعالى التي قام بها رسوله الأمين وصحابته رضي الله عنهم دخل الناس في الإسلام أفرادا وجماعات وانتشر الإسلام في أكثر بقاع الأرض وأحس الناس بالفروق الهائلة بين الإسلام وبين الديانات الأخرى في جميع المجالات ·

والإسلام هو الدين الوحيد الذي لم يتغير منه شيء على امتداد أكثر من أربعة عشر قرنا على العكس من الأديان الأخرى التي تغير الكثير من مفاهيمها ومن أخلاقها ودخلت الوثنية في كتبها وفي دينها بل وأبعد الدين عن الحياة العامة وأصبح قاصرا على دور العبادة ·

ولكن الإسلام بقى بمفاهيمه وأخلاقه لان حضارة التوحيد هي التي تنشر الأمن والاطمئنان والعدالة والمساواة بين الناس جميعا ·

وقد رأيت أن بعض البلاد الإسلامية تأثرت بمعنى بعض المفاهيم الغربية التي انتشرت تحت مفهوم الحضارة والمدنية وما الى ذلك·

ولذلك فقد رأيت أن أبين في هذا الكتاب الفرق بين حضارة التوحيد وحضارة الأشياء إلى جانب أسس الحضارة الإسلامية التي يجب على المسلمين جميعا على امتداد الزمان والمكان أن يلتزموا بها ثم بينت الفكر الاجتماعي في الحضارات المختلفة ثم بينت العقبات التي تقف أمام الصحوة الإسلامية ومنها :

- هل العلمانية بديل جديد عن الدين ؟

- والخلل الموجود في المجتمعات المعاصرة .
- والاستلاب الثقافي للأمة الإسلامية .
- والبغاء الوحشي الذي انتشر في العالم الغربي .

والذي بدأ انتشاره في بعض البلاد الإسلامية بسبب الاهتمام بالرفاهية والمزيد من الرفاهية المادية ثم بينت بعض عناصر العودة إلى حضارة التوحيد ومنها :

- التعاون بالمفهوم الإسلامي .
- والتخطيط السليم في كل شؤون الحياة .
- والإحسان في الإسلام .
- والمساواة في الإسلام .
- والتعاون في الإسلام .

وأخيرا وحدة الأمة الإسلامية عن طريق إعادة المسلمين إلى وحدتهم كومنولث إسلامي كما ذهب إلى ذلك المفكر الإسلامي الكبير مالك بن نبي .

وأرجو أن يوفق الله تعالى الأمة الإسلامية إلى العودة إلى حضارة الإيمان حتى تستطيع أن تؤدى رسالتها في إسعاد العالم الإسلامي بل في إسعاد العالم كله وبذلك يفوز المسلمون برضاء الله تعالى في الدنيا فيشعرون بالسعادة الحقيقية وبرضاء الله تعالى في الآخرة فيفوزون بجنة عرضها السماوات والأرض ولمثل هذا فليعمل العاملون .

على القاضي

بين حضارة التوحيد
وحضارة الأشياء

الحضارة الإسلامية :

هي حضارة التوحيد لأن أهم خصائصها توحيد الله تعالى .

والإسلام يوازن بين الخالق وهو الله سبحانه وتعالى وبين ما في الطبيعة والطبائع من خصائص ذاتية تجعلها فاعلة لأفعال ومسببة لأسباب .

ومن هنا فإن الحضارة الإسلامية لم تشهد الانقسام الذي وقع في التراث الفلسفي للحضارة الغربية فأصبح هناك ماديون ومثاليون لأن الحضارة الإسلامية بلورت ما يمكن أن يسمى بـ (المادية المؤمنة) وكان فلاسفتها ومتكلموها ماديون مؤمنون بالله تعالى وبما جاء به رسوله .

كما وازنت الحضارة الإسلامية بين الإنسان وبين الكون فالإنسان هو سيد الكون والكون خلقه الله تعالى وسخره له ومن هنا فإن المسلم يحس بأن الكون صديق له – بينما الإنسان في الحضارة الغربية يحس بالغربة –لأن عوامل الاغتراب محيطة به من كل جانب- فهو يحس بأن الكون عدو له وبأن الدين عدو له وبأن الدولة عدوة له وهكذا .

والحضارة الإسلامية جاءت بالموازنة بين الدنيا والآخرة وقد رفضت الإغراق في الماديات كما رفضت الإغراق في الروحانيات عن طريق الرهبنة والانقطاع للعبادة بمفهومها الضيق فجعلت الآخرة مؤسسة على الدنيا وعمارتها شرط لصلاح الدين وإقامته .

وأصبح كل هم الحضارة الغربية الماديات والإكثار من الماديات والاستهلاك والمزيد من الاستهلاك حتى أطلق عليها (حضارة الأشياء) .

وكان من الطبيعي أن يحس الإنسان الغربي بالفراغ الروحي لأنه بدأ في السير في الطرق التي تؤدى إلى الهلاك ومن هنا فقد بدأ الشباب في الغرب يهربون من مجتمعاتهم عن طريق المخدرات وأصبح الشعار هناك (هيا بنا إلى الجنة) وهم يقصدون المخدرات ويقول المسئولون في الغرب إن مقدار ما انفق في العام الماضي على المخدرات وحبوب الهلوسة تجاوز سبعة عشر مليار دولار وقد ظهرت الأمراض المستعصية والعلل القاتلة في جسم هذه الحضارة .

وتطور الأمر إلى إحساس عدد كبير من الشباب هناك بأنه لا وظيفة له فبادر إلى الهروب من الحياة عن طريق الانتحار وأصبح لهذه الوسيلة جمعيات تدعو من يريد الانتحار والهروب من الحياة إلى دفع مائتي دولار لجمعية من جمعيات (فن الموت) فيحضر حفلة راقصة يعطى فيها المهدئات ثم المخدرات ثم السموم القاتلة فيموت وهو لا يحس بشيء.

وقد تنبه إلى هذه الظاهرة منذ نصف قرن الشاعر المسلم الهندي "محمد إقبال" فقال :(إن أوربا تفلس والروح تموت عطشا في سرابها الخادع ، فيها حضارة؟ نعم ولكنها حضارة تحتضر وان لم تمت حتف انفها فلسوف تنتحر غدا وتذهب فأساس هذه الحضارة منهار لا يحتمل صدمة لقد ذهبت هذه الحضارة تبحث عن الروح "في المعدة " تفعل هذا الشيوعية كما تفعل هذا الرأسمالية ان هذه وتلك تعيشان على الشره والنهم وخداع الإنسانية فالشيوعية تقضى على الدين والرأسمالية تقضى على الروح وكلتاهما موت للإنسان الذي استخلفه الله تعالى في هذه الأرض) .

ومنذ سنوات وقف المفكر الفرنسي الذي دخل الإسلام عن اقتناع ، وبعد دراسة دامت خمسة وعشرون عاما (روجيه جارودي) وقف يلقى

محاضرة في باريس قال فيها :إننا بعد خمسة قرون من سيادة الغرب سيادة تامة- بدون منازع- يمكن تلخيص حضارته فيما يلي :

على الصعيد الاجتماعي :

لقد صرف للتسليح على سطح هذه الكرة الأرضية عام ١٩٨٢م مبلغ ٦٥٠مليار دولار ولو وزع هذا المبلغ على أفراد البشرية لأصاب الفرد الواحد أربعة أطنان من المتفجرات .

وفي نفس العام توفي في العالم الثالث خمسون مليون نسمة بسبب الجوع أو سوء التغذية ومن الصعب أن نسمى خط سير الحضارة البشرية الغربية وتوصلها إلى إمكانية تدمير الحياة على سطح الأرض وإنهاء ثلاثة ملايين سنة من تاريخ البشر- لا يمكن أن نسمى ذلك – بحال من الأحوال- تقدما .

على المستوى الاقتصادي :

أما على المستوى الاقتصادي الذي توجهه فكرة النمو والزيادة فهم يطالبون بزيادة الإنتاج سواء أكان مفيدا أو ضارا حتى مميتا .

على المستوى السياسي :

وبالنسبة للنواحي السياسية والعلاقات الداخلية والخارجية بين الدول – فالعنف هو الذي يسيرها.. أي مصالح الأشخاص والطبقات والشعوب التي تتصارع فيها صراعا رهيبا .

وتتميز النواحي الثقافية بفقدان المعنى والمغزى لهذه الحياة – فهم يريدون أن يكون الفن للفن والعلم للعلم والاختصاص لمجرد الاختصاص وان تكون الحياة في سبيل لاشيء.

العقيدة :

أما عن العقيدة فقد أضاعوا معنى السيطرة العلوية الإلهية وبذلك تم إغفال البعد الحقيقي للإنسان في إنسانيته وتعذر إمكان الفصل بين

النظام والفوضى الموجودة .

وهكذا بدأ بعض المفكرين في الغرب يدركون الخطورة التي تسير عليها خطوات حضارة الأشياء التي لا تهتم إلا بالأشياء فكتبوا يحللون أسباب هذا الانحراف عن الطريق السليم الذي يوصلهم إلى بر الأمان وكتبوا معللين ذلك: بأنه البعد عن العقيدة والإيمان بالله وإن مؤسسات الغرب الروحية فقدت تأثيرها الذي كان معروفا منذ فترات طويلة .

ومن هنا فقد كان البحث عن دين يلائم التطور ويخاطب إنسان العصر بلغة بعيدة عن الغموض والتخلف هو الحل الأمثل لإنقاذ هذه الحضارة من مصيرها الأسود ومن نهايتها التي ستدمر كل شيء فوق الكرة الأرضية .

وكان إسلام اللورد الإنجليزي (هيدلي) في مطلع هذا القرن إعلانا عن هوية هذا الدين المرتقب ودعوة إلى الإيمان وكذلك إسلام (رجاء جارودي) في السنوات الأخيرة – ترى هل سيتنبهون في سرعة ؟ أم أن ذلك سيكون بعد فوات الأوان؟ .

وظيفة حضارة التوحيد

في الإسلام

الأخلاق السليمة لها المحل الأول في نظرة الإسلام بمختلف ميادينه

الإسلام : هو الدين الذي جاء به رسل الله جميعا وهو يعني إسلام الوجه لله رب العالمين وذلك يكون بالاستجابة الكاملة لأوامره ونواهيه اختيارا مع الصدق والإخلاص وتبرئة العقل والقلب من كل شوائب

الشرك في الظاهر والباطن ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ (الأنعام : ١٦٢) .

وهذا المفهوم للدين يختلف عن مفهومه لدى المسيحيين وفي ذلك تقول مريم جميل اليهودية التي أسلمت وقالت في كتابها " الإسلام بين النظرية والتطبيق " :(إن الهوة السحيقة التي تفصل بين النصرانية والإسلام هي في الأساس تقبل الدينونية- ويقصد بها الفلسفة التي تزعم أن العقيدة الدينية تختص بقطاعات جزئية في حياة الإنسان ثم تنحى عن أي تأثير حاسم في المصالح العامة- والدينونية التي تحصر الدين في قطاع الشؤون الخاصة الفردية المحضة هي أساس الحضارة الغربية المعاصرة وهي أصل كل انحراف لمبادئ النصرانية عن الإسلام) .

والأخلاق لها المحل الأول في نظرة الإسلام وفي مختلف ميادينه وأنشطته سواء أكان ذلك في الحكم أو العلم أو التشريع أو الحرب أو الاقتصاد أو الأسرة تشريعا وتطبيقا.

وقد لاحظ أهمية الأخلاق في الإسلام بعض المستشرقين الغربيين ومنهم كريس موريسون رئيس أكاديمية نيويورك الأسبق فقال :(إن الاحتشام والاحترام والسخاء وعظمة الأخلاق والقيم والمشاعر السامية وكل ما يمكن اعتباره نفحات إلهية لا يمكن الحصول عليها إلا عن طريق الإلحاد – فالإلحاد نوع من الأنانية حيث يجلس الإنسان على كرسي الله ولسوف تمضي الحضارة بدون العقيدة والدين- وسوف تحول النظام إلى فوضى وسوف ينعدم التوازن وضبط النفس وسوف ينتشر الشرفي كل مكان وإنها لحاجة ملحة أن نقوى صلتنا وعلاقتنا بالله).

والتسامح الديني الذي وجد في الإسلام لم يعرف له مثيل في الدنيا، وكان من أسس الإسلام أنه لا إكراه في الدين وأن القتال هدفه حفظ

حرية العبادة لجميع الناس لا للمسلمين فقط وفي ذلك يقول الله تعالى:﴿ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴾ (الحج :٤٠) .

الحضارة الإسلامية هي الوحيدة التي لم تنفصل فيها الدولة عن الدين:

وإذا كان الإسلام هو الموقف الفكري والنفسي للإنسان فانه موقف جميع المخلوقات أيضا — فالكون كله مسلم لله والمخلوقات كلها ساجدة لله تعالى وهذا ما أحس به الفيلسوف الفرنسي (ارنت رينان) الذي اشتهر بحرية الفكر فقال:(ما دخلت مسجدا إلا هزت نفسي عاطفة شديدة وأحسست بأسف شديد بأني لست مسلما) .

والإسلام يوجه العقل البشرى إلى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقة في المجتمعات ويستخدم طاقاته الواعية في تدبرها والبحث عن أسبابها ونتائجها وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد: ١١)، كما يوجهها الى استخلاص الطاقة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان فيقول:﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾(الملك :١٥) .

وقد فرض الله سبحانه وتعالى العلم على المسلمين وهو مرتكز على العقيدة في أصفي مبادئها ، فخاطب العقل والقلب معا وهى ميزة لم تشاركها فيها أية حضارة أخرى في التاريخ فأنشأت نظاما قائما على مبادئ الحق والعدل وفكرا قائما على الدين والعقيدة .

وهى الحضارة الوحيدة التي لم تنفصل فيها الدولة عن الدين والتفاضل فيها بالتقوى والخدمة العامة للناس ثم أن العلم والتقنية النابعة منه والأخلاق التي جاء بها هي أمور لها معنى وأهمية لدى البشر

ويمكن ان تصلح أساسا لقيام حضارة عالمية واحدة.

والإسلام يعمل على حفظ الإنسان بكافة الطرق ومن ذلك وصله بالله تعالى وتحرير وجدانه من الخوف من أي شيء ماعدا الله تعالى ومن ذلك إبعاده عن كل ما يضر بصحته أو عقله أو روحه ، فالتمتع بالصحة الجسمية والصحة العقلية والصحة النفسية أساس في الإسلام ، ومن هنا فقد نظم الزواج وتربية الأطفال وحدد دور كل فرد في الأسرة وجعل الزواج أساس الإنجاب وجعل الوضوء والصلاة والزكاة والصوم والحج أسس الصلة بالخالق سبحانه وتعالى ، وقد وضح للناس جميعا وحدة النوع البشرى – فهم جميعا من ذكر وأنثى- وقد جعلهم الله سبحانه وتعالى شعوبا وقبائل ليتعارفوا وطلب منهم أن يتعاونوا على البر والتقوى لا على الإثم والعدوان ، والمسلم بذلك يحس بانسجامه مع الكون أيضا – فالله سبحانه وتعالى خلق له ما في الأرض وسخر له الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبحر ليأكل منه لحما طريا ويستخرج منه حليه يلبسها .

والأنعام خلقها له فيها دفء ومنافع ومنها يأكل وللناس فيها جمال حين يريحون وحين يسرحون وتحمل أثقالهم الى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس وخلق الخيل والبغال والحمير ليركبوها وزينة وأنزل من السماء ماء لهم فيه شراب وفيه شجر وبه ينبت لهم الزرع والزيتون والنخيل والأعناب .

وتمتع مجموعات من الناس بالحياة الدنيا وزينتها ليس دليلا على صحة سلوكهم ومعتقداتهم لأن كل ذلك خارج عن ميزان الإسلام يقول الله تعالى في ذلك: ﴿لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي ٱلْبِلَٰدِ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ (آل عمران :١٩٦) .

ومن هنا كانت وظيفة المسلمين العمل المستمر حتى يحققوا وظيفتهم في هذه الحياة يقول توينبي :(إن مستقبل الحضارة الإسلامية يتوقف على الأكثرية المطلقة من الجماهير الراغبة التي تدرك ذاتها وتعمل على تقوية نفسها لصد السيطرة الغربية والتحرر من الاستعمار بأوسع مظاهره والعمل على تنمية حضارتها الذاتية) .

الحضارة الإسلامية تصلح لكل زمان ومكان والتقدم الأخلاقي جوهرها:

ومن هنا فإننا نرى أن أول أهداف الحضارة الإسلامية- إذا ما اكتملت عناصرها- الرقى الداخلي أما الحضارة الغربية فان اعتبارات الانتفاع المادي تسود جميع مظاهر النشاط الإنساني أما الأخلاق فوجودها نظري وليس لها قوة في المجتمع .

ولذلك فان الحضارة الغربية تفتقد أهم عنصر لها وهى في طريقها إلى الانهيار يقول(الكسيس كاريل)في كتابه "الإنسان ذلك المجهول" :(إن الحضارة الغربية آخذة في الانهيار- لأن علوم الجماد قادتنا إلى أرض ليست لنا فتقبلنا هداياها بلا تبصر ولا تمييز ، ولذا أصبح الفرد متلصصا فاجرا نفعيا غير قادر على التحكم في نفسه وفي مؤسساته).

لقد أبطلت الحضارة الإسلامية: العصبية العرقية والحقد الجنسي ، وشقت الطريق إلى الإخاء الإنساني وإلى العدل والمساواة وإلى نشر المحبة والمودة في كل جوانب الحياة .

والحضارة الإسلامية لم تعرف الطبقات الاجتماعية- ولكن التاريخ الأوربي كله منذ أيام اليونان والرومان مملوء بالحروب بين الطبقات لأن المادة دفعتهم إلى الطغيان عن طريق الإغراء بمزيد من المادة وحدها وترك القيم الإنسانية ، وهذه هي التربية التي تربت فيها الحضارة الغربية الحديثة وقد عملت مؤثرات أخرى في أثناء تطورها على الرغم من أنها بدلت وطورت في ذلك الإرث الثقافي الذي ورثته ،

ولكن الحقيقة الثابتة أن كل ما هو حقيقي اليوم في الاستشراف الغربي للحياة والأخلاق يرجع إلى الحضارة الرومانية- كما أن الجو الفكري الاجتماعي كان نفعيا بحتا لا دينيا بحتا ، وهكذا أصبح الجو في الحضارة الغربية الحديثة من غير أن يكون لدى الأوروبي برهان على بطلان الدين المطلق كما تقول صاحبة كتاب " الإسلام على مفترق الطرق " لودا فاجليري ٠

والتفكير الأوربي الحديث يترك الأخلاق مطلقة خارج نطاق الاعتبارات العملية ، والحضارة الغربية الحديثة لا تجحد الله ولكنها لا ترى فائدة لله في نطاقها الفكري الحالي ٠

ومن هنا فان الحضارة الإسلامية قد تميزت في صياغة الفرد عقديا وفكريا وسلوكيا بحيث يكون لديه شعور شامل للحياة من جميع نواحيها الاجتماعية والاقتصادية والفكرية والأخلاقية وغيرها ٠

ومن هنا أيضا تميزت الحضارة الإسلامية بالنزعة الإنسانية في أجواء الحب والتسامح والتعاون والمساواة أمام الله تعالى وأمام القانون وفي كيان المجتمع تساويا لا أثر فيه لاستعلاء عرق أو فئة أو أمة على أمة ٠

والتقدم الأخلاقي :هو جوهر الحضارة الإسلامية فالأفراد والجماعات يجعلون آراءهم وعواطفهم وأعمالهم موجهة للخير المادي والروحي للأفراد والجماعات للمجتمع الإسلامي وللمجتمعات البشرية كلها ٠

ومن هنا كانت الحضارة الإسلامية هي الحضارة الوحيدة التي تصلح لكل زمان ومكان والتي نرجو أن، تقوم بدورها بعد فشل الحضارة الغربية الحديثة وقرب انتهاء دورها ٠

الفكر الاجتماعي في الحضارات المختلفة

الفكر الاجتماعي:

يختلف من مجتمع إلى مجتمع ومن عصر إلى عصر حسب المفاهيم التي تسود المجتمع

فعند قدماء المصريين تظهر نظرية تقديس الحاكمين، فالملك هو ابن الإله أو ممثله على الأرض والفراعنة كانوا يعتبرون أنفسهم آلهة على الأرض واليهم المرجع في كل شيء- والفرد لا قيمة له ولذلك بنوا الأهرامات وسخروا الأفراد للبناء ونحن نعرف فرعون وطغيانه وتهديده للسحرة لو آمنوا برسالة موسى فإنه سيقوم بتقطيع أيديهم وأرجلهم من خلاف وتصليبهم على جذوع النخل إذا لم يمتثلوا لأوامره.

واليونان كانوا يعملون على إعداد المواطن الصالح ويربون الإنسان على قهر خصمه ولو كان عن طريق الخداع والمغالطات والسفسطة- والإنسان عندهم مقياس كل شيء وأنكروا أن يكون هناك قانون عام للعدالة والقوة عندهم هي الحق- وهذه دعوة إلى الفوضى الخلقية والفكرية وتمجيد لأثر الفرد وإنكار للحقائق الثابتة وهدم للاعتقاد الديني.

وسقراط الفيلسوف اليوناني يرى أن تحصيل المعرفة يبنى على العقل لا على الحواس – ولم يهتم بالأمور الكونية- والإنسان في نظره لا يعمل الشر وهو عالم بنتائجه ولو علم أين الخير لعمله حتما مع أن الإرادة لها دورها الفعال في المجتمع في الحقيقة.

وأفلاطون اتخذ الإنسان والكون موضوعا لفلسفته ، وخيرية النفس عنده تقاس بمدى سيطرة العقل على القلب ويرى إعدام الأبناء الذين يولدون الآباء أشرار- ويرى عدم السماح للضعفاء والمرضى من الأبناء

الذين نشئوا عن طريق البغاء والأولاد الأصحاء ينسبون إلى الدولة وتربيهم الدولة ويكون ولاؤهم لها- وقد حرم على طبقتي الحكام والجنود الزواج وأصبح الاتصال الجنسي بينهم بلا حدود حتى يضيع النسب- وينسب الجميع إلى الدولة- ولكنه عرف أخيرا أن ذلك لا يمكن فعله .

وارسطو ينادى بالملكية الخاصة ويقرر أن الأسرة هي الخلية الاجتماعية الأصلية وإذا زاد العدد أباح الإجهاض أو قتل المولود .

وعند الرومان تميزت حياة الشعب الروماني بالإقبال على الملذات والاستغراق في الشهوات وقد أصاب الناس الترف وأصبح الهم الوحيد عندهم اكتساب المال من أي وجه ثم انفاقه على الشهوات والملذات وقد فضل الناس العزوبة على الزواج وكان العدل يباع مثل السلع ولذلك أهمل كل شيء مفيد وقد هلك في عام ٥٣٢م في الاضطرابات ثلاثون ألفا من الناس وذلك في العاصمة وحده .

وفي المسيحية أعادت المسيحية الى البشرية فرصة العودة إلى المنهج الإلهي- ولكن بنى إسرائيل تمردوا على حكم الله وانتشرت فيهم الحياة المادية الفاسدة والإسراف في الشهوات- ولم يؤمن بالمسيح الا عدد قليل وموقفهم يظهر في :

١- رد دعوة التوحيد .

٢- رفض ما جاء به الإنجيل من الدعوة إلى الزهد في الدنيا .

٣- التمرد على تنفيذ ما شرع الله والإصرار على دعواهم وأنهم وحدهم شعب اله المختار.

اضطهاد اليهود للمسيحيين لقد نزلت بالمسيحيين كوارث كثيرة جعلتهم يستخفون ويفرون بها أحيانا حتى جاء قسطنطين سنة ٣٢٥م فأظهر العطف عليهم لغاية في نفسه يوضحها مجمع نيقية الذي دعا

٢٠٤٨ من البطارقة والأساقفة لفض النزاع القائم بين المسيحيين حول حقيقة المسيح وكان هو وثنيا وجعلهم يقرون بألوهية المسيح وبذلك تمت عمليه المزج بين وثنية الرومان وبين المسيحية ٠

ولذلك عجزت المسيحية عن قيادة المجتمعات- ولكن الكنيسة استطاعت بمالها أن تحافظ على سلطتها المقدسة في السيطرة على المشاعر والأفكار- وتسرب الضعف والانحراف إلى المراكز الدينية حيث سارت في طريق الأخلاق والفجور وظهرت صكوك الغفران ٠

وجاء الإسلام وجعل للمسلم في هذه الحياة وظيفة سامية وجعل أثره كبيرا في هذا الوجود ، والمسلم يحس بأنه ليس عبدا إلا للخالق سبحانه وتعالى.ووظيفة المسلم تربط الإنس والجن بناموس الحياة والوجود ، والإسلام دين الوحدة بين القوى الكونية كلها ووحد الله سبحانه وتعالى بين الأديان جميعا فهذه الأمة هي أمة واحدة والله رب الناس جميعا وعليهم عبادته وحده لا شريك له ٠

ومن تلك الوحدة تصدر تشريعات وقد بين لنا أن أسس التربية الإسلامية تتناول الضمير والوجدان والسلوك والقيم- إلى جانب الصلة بالخالق سبحانه وتعالى ٠

والشخصية المتكاملة :

هي الشخصية الناضجة التي تستطيع أن تنتج لنا إنتاجا مقبولا في حدود استعداداتها وقدراتها- وتستطيع أن تعقد مع الناس صلات اجتماعية راضية مرضية- مع تحمل صعوبات الحياة والشعور بالرضا وضبط النفس وعدم التناقض في التصرفات ٠

والإسلام يحرص على أن يكون المسلم ذا شخصية سوية كاملة متكاملة تستطيع أن تفهم وأن تعمل وأن تنتج وأن تكون راضية عن نفسها وعن تصرفاتها السليمة التي تبنى ولا تهدم .

والمسلم مسئول عن تصرفاته مسؤولية كاملة ولكن لا تزر وازرةٌ وزر أخرى- وكل نفس لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت وكل فرد في المجتمع راع ومسئول عن رعيته .

والقرآن الكريم يبين للمسلم مكانته بين مخلوقات الله تعالى- فالله سبحانه وتعالى خلقه وكرمه وفضله على كثير من مخلوقاته وجعله خليفة في الأرض وجعل هذه الأمة خير أمة أخرجت للناس تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتنشر العدل والأمن والمساواة بين الناس جميعا ·

وسعادة الإنسان تنبع من الصلة بخالقه سبحانه وتعالى والرضا الكامل ، أما المال فهو خضرة حلوة اذا أخذه المسلم عن طريق حلال وأنفقه طبقا لتعاليم الإسلام وإلا فهو شر بالنسبة لصاحبه ، ومع ذلك فليس للإنسان من ماله إلا ما أكل فأفنى أو لبس فأبلى أو تصدق فأبقى.

ومن أهم عناصر الشخصية المتكاملة تحرير الوجدان من عبادة غير الله تعالى وقد كان الإسلام في ذلك واضحا أشد الوضوح فبين في القرآن الكريم كل عناصر الشخصية الإسلامية السليمة وقد فتح الإسلام باب الصلة الكاملة بين العبد وبين ربه وبين لهم أنه قريب منهم يجيب دعوة الداعي إذا دعاه ·

كما تهدف إلى تحرير الإنسان أيضا من عبادة القيم الاجتماعية كالجاه والحسب والنسب واللون وجعل أقرب الناس إليه أتقاهم ·

ولذلك فقد طلب الله سبحانه وتعالى من المسلمين أن يتقوا الله ما استطاعوا وإتماما لهذا المنهج جعل الإعمال بالنيات ولكل امرئ ما نوى.

والإسلام يرشد الناس الى عمل الصالحات والتواصي بالصبر وذلك كله يؤدى الى اعداد الإنسان الصالح الذي عني الإسلام بتربيته لا المواطن الصالح الذي تهتم الحضارة الغربية بتربيته ومن صفات

الإنسان الصالح العدل الكامل بين الناس جميعا والمساواة الكاملة وإذا رأي منكرا غيره بيده فان لم يستطع فبلسانه فان لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان ·

والشخصية المتكاملة تكون متوازية في كل تصرفاتها متميزة في أفكارها وفي عواطفها وفي سلوكها في كل ما يقوم به الإنسان به نحو نفسه ونحو أسرته ونحو مجتمعه ونحو المجتمع الإنساني كله ·

والشخصية المؤمنة تطلب العلم من المهد إلى اللحد وتعمل العمل الصالح الذي يفيد المجتمع كله .

والإسلام لا يفصل بين العلم الديني وبين العلم المدني كما يحدث في الغرب- فالعلم كله من الدين وهو يسير في تحقيق أهداف الإسلام- وهذا يمكنه من قيادة حركة الحياة بالنسبة للجميع وبذلك يحقق المسلم رسالته في الحياة فهو يعرف لماذا جاء؟ وما وظيفته؟ وإلى أين المصير وما أصدق الدكتور هوكنج استاذ الفلسفة بجامعة هارفارد الأمريكية حين قال في كتابه"روح السياسة العلمية " :(إني أشعر بأني على حق حين أقر بأن الإسلام فيه كل المبادئ اللازمة للنهوض بالحياة) وقد استطاع المسلم أن يستخدم عقله المتحرر في تحقيق رسالة طبقا لتعاليم الإسلام- فبالعقل استطاع الإنسان أن يتبين النافع من الضار·

والحرية في الإسلام مقيدة بتعاليم الإسلام وتتبعها المسؤولية وهذا ما لم تصل إليه الفلسفات الحديثة – ولذلك يشيع في المجتمعات الغربية القلق والحيرة وقد أخذوا يهربون من المجتمعات عن طريق المخدرات ومن الحياة عن طريق الانتحار الذي أصبح عندهم فنا يسمى فن الموت وله جماعات يذهب إليها من يريد الانتحار وفي حفلة رقص جماعي يتناولون فيها المهدئات ثم السميات فيموتون وهم يرقصون- ولكن المسلم باتصاله بخالقه يستطيع أن يتكيف مع نفسه فتكون حياته خالية

من القلق والصراع النفسي ويرضى عن نفسه وعن تصرفاته وأن يتكيف أيضا مع مجتمعه فيكون قادراً على ضبط نفسه في المواقف التي تثير الانفعال إلى جانب هدوئه وقدرته على التعامل مع الناس بصورة واقعية لا تتأثر بما تصوره له أفكاره ، وبذلك يكون الفرد والمجتمع ناضجا انفعاليا فيعيش في أمن وفي أمان ويؤدي وظيفته التي خلقه الله لها وهي عمارة الأرض ويكون شهيدا على الناس كما كان الرسول شهيدا عليهم والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل ·

حتى لا نصل إلى الهاوية

هل العلمانية بديل جديد عن الدين؟

العلمانية كما يبدو لأول وهله- منسوبة إلى العلم ولكنها في الحقيقة تعني اللادينية- وهناك أشرطة سينمائية وكتب توضح ذلك لأنها تدرس العلمانية على إنها بديل عن الدين- ومن العجيب أن هذه الأشرطة تدخل بعض الجامعات الإسلامية عن طريق اليونسكو- فتسهم الجامعات الإسلامية بذلك في نشر العلمانية من حيث تدرى ولا تدرى ·

وهذه الظاهرة في الغرب تعتبر ظاهرة طبيعية لأنها نشأت نتيجة الصراع بين الحكام ورجال الكنيسة من ناحية وبين العلماء من ناحية أخرى- وقد انتهى الصراع في الغرب بعزل الدين عن التأثير في ميادين الحياة- وعرف ذلك هناك باسم (فصل السلطات) وقد استخدمت العلمانية في الغرب ستاراً لتقديم تفسيرات من صنع البشر لحركة الكون والحياة وموقف الإنسان منها وتأثيرها على قيام المجتمعات وتوجيهها- ومما يدعو إلى الأسف أن الإنجازات المادية في الحضارة

الغربية استغلت لتمكين النزعة العلمانية على أساس أنها وجدت الطريق إلى القوة والسيادة .

وقد عمل الغرب الاستعماري على نشر هذه المفاهيم بين أبناء المسلمين عن طريق تمكين هذه الأفكار من نفوس الطلبة المسلمين الذين يدرسون في الجامعات الغربية ويعدونهم لتولى مقاليد الأمور في الدول الإسلامية وفي المدارس والجامعات العلمانية المنتشرة في كثير من بلدان العالم الإسلامي ، وهم لذلك قد طرحوا شعارات زائفة تمكن لهذه الأفكار من الثبات في النفوس وتبعد الفكر الديني عن التأثير في الحياة مثل(الدين لله والوطن للجميع)، وقد أصبح يؤمن بذلك كثير من رجال الفكر والسياسة والحكم في البلاد الإسلامية ، على الأقل من الناحية العملية ، بل لقد قال احد حكام المسلمين علانية ، وهو يظن أنه يفهم الإسلام أكثر من أي عالم ديني :(من أراد الدين فإمامة المساجد ومن أراد السياسة فإمامه القنوات السياسية) ! .

ومن هنا فإن الأحزاب السياسية في البلاد الإسلامية تقوم - من الناحية الواقعية - على العلمانية قد يتحدث حكامها عن الدين فترة ريثما تستقر الأمور أو قد يتحدثون عن الإسلام على أنه شعائر فقط أو قد يتحدثون عنه ليحاربوا به بعض المذاهب التي تكون خطراً عليهم وهكذا .

وإذا جاز هذا في الغرب لما لاقوه من الكنيسة في القرون الماضية من سيطرة وقسوة من جهة ، ومن تحالف مع الإقطاع من جهة أخرى- ثم من إتباع التقاليد البعيدة عن النصرانية الحقة لدرجة إن الذين كانوا يمثلون الدين النصراني هم الرهبان ومن على شاكلتهم فكانوا يحكمون حكما جائراً لا يجادلهم فيه أحد فإذا جاز هذا في الغرب فإنه لا يجوز في البلاد الإسلامية لأن شيئا من ذلك لم يحدث ولا يمكن أن

يحدث .

ولم يكن الغربيين في بدء حياتهم ينظرون هذه النظرة بل أنهم كانوا متحمسين لدينهم- ولكنهم كفروا بكل حقيقة يمثلها هؤلاء لأنهم وجدوا فيها سدا منيعا أمام العلم وأمام حقائق الكون والحياة والإيمان الذي تتعطش إليه قلوبهم وتطمئن به نفوسهم- وبخاصة وأن رجال الدين المسيحي كانت تحيط بهم خرافات وأساطير فأصبح العلماء والشباب ينظرون إلى مجتمع الكنيسة نظرات الاشمئزاز والاحتقار ويرجعون سبب انحلاله وانحطاطه إلى سيطرة الكنيسة .

أو ليس من العجيب أن يكون انجلز- الزعيم الشيوعي المعروف- الذي يعتبر من اشد المتمردين على الدين كان في صغره شغوفا بدينه، ولكنه لما رأي ما رأي من رجال الكنيسة عاد فكفر بالدين كله ، يقول انجلز في خطاب له إلى أصدقائه : (لقد أصبح الدعاء هوايتي منذ وجدت الشكوك طريقها إلى قلبي ، وإنني لا أستطيع أن أقبل عقائدكم- قلبي يبكى عيني تبكى ، ولكنني أشعر بأني لست بطريد من رحمة الله الذي أتمنى رؤيته بكل قلبي .

لقد كان انجلز يبحث عن حقيقة الدين الفطري التي تحس بها نفسه ويطمئن إليها قلبه- ولكن الجو العام الذي كان يعيشه والأضاليل التي كانت تنسب إلى الدين وفقدان من يستطيع أن يوضح له الدين الحق جعله يكفر بالدين ويحارب كل الأديان التي لا يعرف عنها شيئا . لقد تاه وضل لأنه لم يجد من يأخذ بيده إلى الطريق القويم إلى الدين الفطري .

ومثل انجلز برتراند رسل الذي كان شديد التدين في بدء حياته- ولكنه حين رأي ما في المجتمع من أباطيل وأهواء تنسب إلى الدين والذي يمثله الرهبان والدجالون- ولم يجد من يدله على الدين السليم

كفر بالدين واله العقل وخلع عليه القداسه.

والذي حدث في الغرب لم يحدث مثله في الشرق- ذلك لان الإسلام لم يكن فيه رجال دين وإنما فيه علماء دين- وعلماء الدين ليست لهم قداسة ويستطيع أي إنسان أن يناقشهم حتى يقنعهم أو يقتنع بكلامهم، وليس في أمكان علماء الدين أن يحلوا حراما ولا أن يحرموا حلالا لان ذلك كله لله عز وجل والقران الكريم والسنة النبوية هما مصدر التشريع في الإسلام ، والإسلام ينظر نظرة شاملة إلى الكون والإنسان والحياة-ويرسم الطريق للمسلم ليعمرها وينشر فيها العدل والأمن والاطمئنان باعتباره خليفة في الأرض وهو يقوم بكل ذلك لله وفي سبيل الله ولا ينبغي من وراء ذلك إلا رضوان الله .

وطريق الإسلام هو طريق الاطمئنان القلبي والراحة النفسية ، وقد فشلت العلمانية في أن تكون بديلا عن الدين ذلك لأنها تنظر إلى الإنسان من زاوية وتهمل بقية الزوايا- ثم إنها من صنع البشر- والبشر غير محيطين بكل شيء ، وإذا كان الإنسان قد تقدم في النواحي المادية في الغرب فانه قد فقد نفسه وفقد أمنه وطمأنينته وفقد راحته- ولذلك فقد انتشرت لأمراض النفسية والانحرافات المختلفة والانتحار عن طريق الأفراد والجماعات- ومن هنا فان الإيمان ضرورة فردية كما انه ضرورة اجتماعية- ولن يستقيم أمر الإنسان ولن تنهض المجتمعات إلا بالرجوع إلى الدين- الدين الحقيقي- دين الإسلام ففي ظله تتربى العواطف النبيلة في النفوس وبه تنشأ بواعث الأمل والحب والعمل الصالح يقول ارنست رينان في تاريخ الأديان :(أنه من الممكن أن يضمحل كل شيء نحبه- وأن تبطل حرية استعمال العقل والعلم والصناعة ولكن يستحيل أن ينمحي التدين- بل سيبقى حجة ناطقة على بطلان المذهب المادي الذي يريد أن يحصر الفكر الإنساني في المضايق

الدنيئة للحياة الأرضية) .

وقد أصبح معروفا للجميع أن الإسلام دين عام شامل لكل نواحي الحياة الإنسانية يقول المستشرق الإنجليزي هاملتون جب: أن الإسلام لم يكن مجرد عقائد دينية فردية- وإنما استوجب إقامة مجتمع مستقل له اسلوبه المعين في الحكم وله قوانينه ونظمه الخاصة به .

ويقول الأديب الإنجليزي فيتزا جرالد: (ليس الإسلام دنيا فحسب ولكنه نظام سياسي أيضا) .

وهكذا نرى أن الإسلام دين لا يمكن أن يكون له بديل في الأرض- إن الذي أنزله هو خالق البشر وهو أدرى بما يصلحهم وما يصلح لهم ﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾ (الملك) .

الخلل الفكري في المجتمعات الإسلامية المعاصرة

الإنسان في الإسلام هو مركز حركة الكون فقد خلقه الله تعالى ليحقق أرقى لون من ألوان التحضر الذي يسعد الإنسان في الدنيا وفي الآخرة- وبذلك أعطى الإسلام للبشرية المنهج السليم الذي يجعلها سائرة على الطريق المستقيم .

والإسلام حريص في بنائه للفرد على أن يوفر له كل الطرق الملائمة لإشباع حاججتم إلى العلم عن طريقين :

١- نشر الثقافة والعلم والمعرفة بكل الوسائل بين أفراد المجتمع الإسلامي .

٢- تحقيق المساواة الشاملة والعدالة الكاملة وتكافؤ الفرص ٠

وفي العصر الحاضر حدث خلل فكرى في المجتمعات الإسلامية مما سبب الاضطراب في كل شيء إلى جانب انعدام الحرية وروح الرجولة والإحساس بالمسؤولية ٠

وكان للاستعمار دور واضح في الخلل الفكري في العالم الإسلامي لأنه جعل هدفه الأول القضاء على الهوية الثقافية للدول العربية من أقصر طريق لبلوغ أهدافه- والوسائل التي اصطنعها تتلخص في :

١- نقل الفكر الغربي والقيم الغربية وفرضها على الناشئة وإكراه الناس على قبولها فقد زين للناشئة حضارة العرب وأثار إعجابهم بها وأظهر لهم أن الحضارة التي جاء بها كاملة ومعصومة من الضلال ٠

٢- أطلق لدى أبناء الدول الإسلامية الشعور بالنقص والضعة تجاه تراثهم وقيمهم وحضارتهم عاملا على إبراز جوانب التخلف في ذلك املا أن ينزع الأمة الإسلامية من جلدتها ٠

٣-أثر في النظام التربوي باتيانه بطائفة من المثقفين المغتربين عن تراثهم وأمتعتهم ليعينوه على تحقيق أهدافهم الاستعمارية ، كما عملوا معه على انتزاع الأمة من جذورها الثقافية ٠

وقد ظهرت في المجتمعات الإسلامية العقليات المادية التي أوجدت في الناس حب الذات الذي جعل كل فرد من أفرادها يهيئ لنفسه ما يستطيع من أسباب الترف والترفية- وأصبح الفرد لا يهمه أبوه أو أخوه أو زوجه أو ولده وقد أحدث الترف طرقا لا تعد ولا تحصى للاقتناء والترفيه أو للمظهرية ، وأصبح الإنسان يشترى الآلات الموسيقية ولو لم يكن عنده ذوق موسيقى ، ويكون عنده مكتبة ضخمة مع أنه لا يقرأ منها شيئا ، وكثيرا ما يشترى الأشياء لامتلاكها فقط ٠

وهكذا أصبح الإنسان يحاول ان يشبع الوهم بحب التظاهر الذي

يبعد الإنسان عن كل علاقة صحيحة بحاجباته الحقيقية وبذلك أصبح الاستهلاك هدفا لذاته لا للاحتياج ولا للسعادة- وأصبح الناس يظنون أنهم لا يستطيعون الحياة بدون ذلك .

مثال لشاب مسلم : وحين كنت مدرسا بجامعة قطر تحدث إلى طالب عن حياته المرفهة وقال : انه لا يستطيع أن يعيش بدون جهاز لتكييف الهواء سواء أكان ذلك في البيت أم في السيارة- فقلت له : أنت شاب عربي مسلم وتفخر بذلك ترى كيف تستطيع أن تؤدى وظيفتك في هذه الحياة وأنت على هذا القدر من الرفاهية وعدم تحمل المسؤولية وعدم تحمل مشقات الحياة- بينما المنصِّرون يأتون من أوربا وأمريكا ويعيشون في أدغال أفريقيا وحرها ليؤدوا وظيفتهم في تنصير المسلمين- واليهود يعيشون في صحراء النقب متحملين كل شيء في سبيل تحقيق باطلهم ثم طلبت منه أن يصلح خلله الفكري وأن يؤمن برسالته التي كلفها الله تعالى بها .

ولوجود الخلل الفكري حدث تغير كبير في المفاهيم، ومن ذلك مفهوم الحرية الذي جعل المرأة تخرج للعمل وتختلط بالرجال اختلاطا كاملا وتتزين الزينة التي تجذب انتباه الرجال ودخل هذا المفهوم إلى سيكولوجية المرأة إلى درجة أن أدوات الزينة والملابس النسائية زادت في إيران في أيام الشاة إلى خمسة آلاف ضعف خلال عشر سنوات فقط .

وبذلك أصبحت المرأة لا ترغب في الحياة الفطرية ولا تهتم بشؤون البيت حتى تحتفظ برشاقتها وأناقتها وجمالها لتلفت إليها الأنظار ، ولذلك أصبحت لا ترغب في الحمل ولا في الرضاعة ولا في مسؤولية البيت ، وبذلك أساءت إلى نفسها وأساء إليها الذين ظاهروها وأعانوها ممن يزعمون أنهم ناصروها فقد كانت ريحانة تشم فأصبحت مشكلة تتطلب الحل- وكانت عرضا يصان فأصبحت حملا ثقيلا يضيق به الأب

و الأخ .

ولوجود الخلل الفكري في مجتمعاتنا الإسلامية استطاع الغرب أن يدخل إلينا بمفاهيمه- ومن ذلك أننا أصبحنا نسكن في بيوت مبنية بالاسمنت على الطراز الغربي مع أن هذا البناء ليس مناسبا للبيئة التي نعيش فيها وأصبحنا نأكل ونلبس وأصبحنا نقيم المصانع المحلية على النمط الغربي .

والأخطر من ذلك أننا أخذنا بنظم التعليم الغربية بما فيها من خلفيات ثقافية للمفاهيم الإسلامية- كما أن الاتجاه أصبح العناية بالمادة وحدها وأصبحت الثروات في كثير من الأحيان لا تعتمد على أصول شرعية ولا تتقيد بضوابط الحلال والحرام، ثم ظهرت تحريفات في الحياة الإسلامية منها فصل الدين عن الدولة وقلة الاهتمام بالعلوم العملية والتقنية ، وضعفت الحاسة الدينية نتيجة الاحتكاك الفكري والاقتصادي والاجتماعي والسياسي بالغرب .

والمجتمع الذي يتصف بالتفكير السليم نرى في أفراده تماسكا ناتجا عن الفهم والتدبر كما نراه يحدد المشكلات ويفكر في حلها ثم يرسم خطوط السير في حل المشكلات ويقوم نتائجها- ثم هو يعمل على تحقيق أهداف المجتمع بكل عزيمة وإصرار لا ينتظر جزاء ولا شكورا إلا من الله تعالى .

وهناك أدوات لقياس التفكير السليم لمجتمع ما ومن هذه الأدوات مدى تحقيق أهداف الدين من جميع النواحي الروحية والعقلية والجسمية والعاطفية والاقتصادية والثقافية وغيرها .

وهناك أيضا أدوات لقياس الخلل الفكري منها انتشار الأمية بكل أنواعها والبعد عن الواقع الذي يظهر في سلوك الناس بحيث تظهر الفجوة بين الأهداف والامكانات المتاحة لتحقيقها، ومن ذلك ما يجرى

على ألسنة الناس من أحاديث ومناقشات غير هادفة ولها آثار سلبية وكل ذلك يدل على الخلل الفكري .

كما أن البعد عن الدين وقيمه والجري وراء كل جديد بغض النظر عن الحاجة إليه أو التمسك بالقديم حتى ولو ظهر ما فيه من عيوب وتعظيم كل ما هو أجنبي ومحاولة التشبه بالأجانب في السلوك حتى ولو كان منافيا لأخلاق المجتمع الذي يعيش فيه وكل ذلك يدل على الخلل الفكري.

ومن مظاهر الخلل الفكري التشبث بالسلطة حتى ولو لم ينجح فيها من يتمسك بها أولم يكن قادرا عليها حتى لو جرت عليه وعلى الناس الكثير من المشكلات- ومن هذه المظاهر الانتهازية والأنانية والترفع عن العمل اليدوي والتواكل وشدة الحساسية للنقد ونشر عيوب الناس وتجريحهم. لقد فتحت الثقافة الإسلامية آفاق التحرر الفكري من قيود الكنيسة والوثنية وعبادة الفرد .

والقرآن الكريم قدم للفكر البشرى مجموعة ضخمة من القيم الإنسانية الخالدة التي تحكم المجتمعات الإنسانية على امتداد الزمان والمكان- كما أنه قدم للبشرية مجموعة ضخمة من القيم الإنسانية العالمية تتمثل في ربط العقيدة بالمعاملات والأخلاق والعبادات في إطار المنهج الإسلامي حيث لا انفصال بين الدين والحياة ولا بين الروح والجسد كما أنه ربط بين العلم والعمل وأطلق العقل الإنساني من قيوده فلا كهانة ولا تجسيد للبطولة ، وجعل بين الوجدان والعقل ترابطا ، كما جعل الإيمان بالغيب أساسا لا غنى عنه للسير في الحياة ورفض التقليد والتبعية سواء أكان ذلك للماضي القديم أو الحديث الوافد من أي مكان .

والمجتمع الإسلامي يعتبر الدين أساس فكره والطابع الإنساني

لخدمة البشرية كلها من أسسه- كما يعتبر الدين الضمير أساس العلم والحضارة- والإنسان له كرامة تعلو على كل شيء .

الإنقاذ : والإنقاذ من ذلك كله لا يكون إلا بالعودة إلى الثقافة الإسلامية الأصيلة ، وذلك يحتاج إلى شحذ الفعالية الروحية في الفرد وفي المجتمع وإلى تحريك الدوافع نحو المقاصد والغايات- والمحور في ذلك الإنسان المسلم فهو الخلية الأولى التي يجب تكوينها ورعايتها- ويجب أن يسود المناخ العالم للمجتمع كله في مسار جمعي ويتجه إلى الخريطة الثقافية المرسومة لها .

والقدوة الصالحة هي نموذج القيم الرائد الذي تقع على كاهله مهمته، ولابد وأن يتسم المسلم بأعلى سمات الحرص واليقظة والتبصر حتى يحمى نفسه ويحمى مجتمعه- وعليه أيضا أن يبنى أنظمة وأجهزة دفاع قوية تذود عن المنجزات الثقافية كلها وذلك يحتاج إلى جهد وبصيرة. كما يحتاج إلى نظام تعليمي يحمى الفرد والمجتمع- ثم لابد من تصحيح النظر إلى الثقافة المعاصرة الوافدة بعد فحصها من خلال التعامل معها وإبعاد ما يتنافى مع المنهج الإسلامي .

وبذلك يستطيع المسلم أن يبتعد عن الخلل الفكري وأن يستعيد ثقافته الإسلامية الأصيلة وأن يعود إلى أداء وظيفته في هذه الحياة ويحقق قول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَتۡكُم مَّوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَشِفَآءٞ لِّمَا فِي ٱلصُّدُورِ وَهُدٗى وَرَحۡمَةٞ لِّلۡمُؤۡمِنِينَ ﴾ (يونس :٥٧) .

الخلل الثلاثي في حياة المسلمين المعاصرة

العالم الإسلامي في هذه الأيام يعيش صحوة تشمل جميع أقطاره ولكن هذه الصحوة تلاقى عقبات كثيرة بعضها له أسباب داخلية وبعضها له أسباب خارجية ترى هل المشكلة تكمن في تشخيص الخلل؟ أم في عدم وجود الدواء الناجع ؟ أم في المريض الذي لا يتجاوب مع العلاج؟

أسئلة يجب عليها الأستاذ الدكتور يوسف القرضاوي فيقول : إن الخلل يكمن في غيبة الوعي وفقدان الهوية والتيه عن الغاية ثم ضياع الطريق ، والأمة المسلمة وصفها الله تعالى بالخيرية لأنها تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وتؤمن بالله تعالى ، لكنها نسيت نفسها وبات فيها من يأمر بالمنكر وينهى عن المعروف إلى جانب أنها تركت المنهج الوسط لتميل إلى الشرق أو إلى الغرب فلم تعد الأمة التي تشهد على الناس وتصلح من أخطائهم وتقودهم إلى الطريق الصحيح والأمة المسلمة لابد وأن تكون أمة واحدة تعبد الله وحده وتأخذ شرعها عنه وحده ولكنها نسيت ربها ونسيت نفسها وتركت أهدافها فلم تعد الأمة الواحدة- مع أن الله تعالى حذر المسلمين من ذلك فقال : ﴿ وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ ﴾ (الحشر :١٦) .

التقدم المادي : والأمة المسلمة في التقدم المادي لا زالت عالة على الأمم الأخرى في قيم حياتها المختلفة وقد أصبحت الطاقات معطلة ، وبذلك أصابها الشلل وأصبح الوقت عندها أرخص شيء والعمل أثقل شيء والإنسان أقل الثروات كما أصبحت الطاقات معطلة لأننا نقلد ولا نفكر ولا نبتكر.

أوليس من العجيب أن نجد عشرين دولة إسلامية تعلم العلوم بلغات أجنبية بدلا من العربية وإسرائيل تعلم العلوم بالعبرية وحتى العلوم الإنسانية نقلناها عن الغرب حرفيا وإن كانت فروعا من شجرة المادية ثم إن أنظمتنا التعليمية تخرج موظفين وقد وصل المسلمون الى درجة كبيرة من غيبة الوعي والفهم والتفكير حتى قال موسى ديان في تصريح له :(اطمئنوا إن العرب لا يقرؤون وإذا قرؤوا لا يفهمون وإذا فهموا لا يتذكرون وإذا تذكروا لا يفعلون).

في الماضي انتصر المسلمون على المشركين وعلى اليهود لأنهم قوم لا يفقهون ، وفي الحاضر تغير الوضع مع أننا نعلم أن الله تعالى خلقنا ليبلونا أينا أحسن عملا- ولكننا بددنا طاقاتنا وحتى الطاقة الاقتصادية عطلناها مع أننا نعيش في أهم بلاد الله تعالى موقعا وأخصبها أرضا وأحفلها بالمعادن ولكننا نجور على الأرض الخضراء ونستهلك ولا ننتج ونستورد ولا نصنع ونفخر بالاستهلاك فلا غرو أن يهلك الملايين منا جوعا ولذلك أصبح العالم الإسلامي في دائرة البلاد المتخلفة لأننا أعرضنا عن دين الله وتفرقنا شيعا وأحزابا

الطاقة الروحية معطلة: إن الإيمان هو مفتاح شخصية هذه الأمة ومفجر طاقاتها وهو الذي يجعلها خير أمة أخرجت للناس وبهذا الإيمان انتصر المسلمون على هجمات التتار الزاحفين من الشرق والصليبيين المهاجمين من الغرب وهذا ما فعله اليهود في العصر الحاضر- لقد تشبثوا بتعاليم التلمود فنجحوا وتركنا ديننا فأصبحنا غثاء كغثاء السيل والأمة الإسلامية كلها مسئوله وهذه المسؤولية تشمل الحكام والعلماء والمعلمين وأجهزة الإعلام وغيرهم .

الحركة الإسلامية: الحركة الإسلامية يدخل فيها كل الجماعات العاملة لتجديد الدين وتحكيم شريعتة وإحياء الأمة به والعودة به الى

مكانه في قيادة الأمة وتطبيقه في مجالات الحياة.

والحركة الإسلامية تقاومها قوى الطغيان الخائفة من الإسلام في الداخل وقوى الاستعمار الكارهة للإسلام من الخارج ولذلك فهي لا تخرج من محنة إلا لتدخل في محنة أخرى ومن داخل الحركة الإسلامية نلاحظ :-

أولا: ضعف النقد الذاتي : بمعنى محاسبة النفس وهو شأن النفس اللوامة والكيس من دان نفسه وعمل لما بعد الموت والنقد يعنى أنه لا يبقى إلا الصحيح ونقد الفكر لا يعنى النيل من مكانة صاحبه عمليا أو دينيا أو خلقيا

ثانيا : الانقسام والاختلاف : نشاهد الكثير من الانقسام والاختلاف بين فصائل الجماعات المتعددة- ولابد من التقارب وإذا ما كان هناك تعدد فإنما يكون في النوع والتخصص . ولا بد من تعدد الاجتهادات والأساليب ولابد من إحسان الظن والوقوف صفا واحدا في القضايا الكبرى قضايا الوجود الإسلامي والمصير الإسلامي.

ثالثا : تغلبة الاتجاه العاطفي : الإسلام يقوم على الجانب العاطفي والعقلي في تعاليمه مثل الحب في الله والبغض في الله لأن الإسلام يخاطب في الإنسان قلبه وعقله معا .

والجماعات الإسلامية المرجوة لنصرة الإسلام تقوم على وحدة المفاهيم ووحدة التنظيم ووحدة المشاعر .

ويلاحظ في الجماعات الإسلامية المعاصرة ما يأتي :

١- قصور الدراسة والتخطيط .

٢- العجلة : والمتعجل لا صبر له ولا أناة مع أن الرسل لم ينتصروا من أول دعوتهم .

٣-المبالغة : بمعنى المبالغة في الإعجاب بالنفس والمبالغة في نقد

غيرهم .

والحركة الإسلامية تعمل في مناخ لا يسمح فيه للإسلام أن يقول كلمته بصراحة ولا أن يجمع أبناءه في حرية وهناك جهات أجنبية تعمل بجد لإدخال هذه الصحوة في متاهات متنوعة وشغلها بالنوافل عن الفرائض وبالفروع عن الأصول وبالشكل عن الجوهر وبالمختلف فيه عن المتفق عليه- كما تعمل على تشويه ما سموه بـ(التطرف الديني) وهم يعملون دائما على :

١- تنفير الجماهير من ظهور الإسلام نظاما حاكما للحياة .

٢- شغل الشباب بالقضايا الجانبية وتبديد جهوده فيما لا يعود بفائدة ما .

٣-شغل القوى الإسلامية بعضها ببعض.

٤- إعطاء السلطات الحاكمة فرصة لضرب العمل الإسلامي كله.

٥- تنفير الناس من الإسلام ودعاته.

العمل الاجتماعي ومطلوب من المسلمين العناية بالعمل الاجتماعي مثل : عمل الجمعية الخيرية الإسلامية العالمية التي تعمل بكل طاقاتها على توفير الغذاء للجائع والكساء للعاري والدواء للمريض والرعاية لليتيم والإيواء للمشرد والتعلم للجاهل والتشغيل للعاطل والمشاركة الجادة في تنمية المجتمعات الإسلامية من داخلها وأن يكون العمل من الجميع وللجميع ، وفي النهاية نحس بأن الله تعالى معنا يوجهنا إلى الخير ويعيننا عليه حتى نستطيع أن نؤدي رسالتنا نحو أنفسنا ونحو هذا العالم الحائر الذي يسير إلى الهاوية ونرجو الله أن يسدد خطواتنا وأن يوفقنا إلى الطريق المستقيم الذي يوصلنا إلى تحقيق أهدافنا الإسلامية فنسعد في الدنيا وفي الآخرة والله الهادي إلى سواء السبيل .

الاستلاب الثقافي للأمة الإسلامية

الاستلاب الثقافي : تعبير يقصد به سيطرة الثقافة الغربية بكل صورها ومفاهيمها على الأمة الإسلامية والبعد عن الثقافة الإسلامية بكل صورها ومفاهيمها ٠

ذلك لأن الاستعمار الغربي جعل أهم هدف له في البلاد الإسلامية التي أستعمرها القضاء على الهوية الثقافية ، لأن ذلك أقصر طريق لبلوغ أهدافه وبخاصة وأن العالم الإسلامي له ثقافته الأصلية التي يرى في وجودها خطرا عليه وقد استخدم لذلك وسائل منها :

١- نقل الفكر الغربي والقيم الغربية وفرضها على أفكار الناشئة في البلاد الإسلامية وإكراه المجتمع الإسلامي على قبولها ولذلك فقد زين للناشئة حضارة الغرب وأثار إعجابهم بها وأظهر أن الحضارة التي جاء بها كاملة ومعصومة من الأخطاء ٠

٢- جعل البلاد الإسلامية تشعر بالنقص تجاه ثقافة الغرب وقيمه وحضارته كما ابرز جوانب التخلف في الحضارة الإسلامية أملا في أن ينتزع الأمة الإسلامية من جلدها وتجريدها من درعها الثقافي الواقي لها من كل المتاعب والمشكلات ٠

٣- جعل الاستلاب الثقافي طريق النظام التربوي وذلك بتربية طائفة من المثقفين البعيدين عن أمتهم وثقافتهم ولذلك فإنهم أخذوا يعملون على تحقيق أهداف الاستعمار كما قاموا مع المستعمر بانتزاع الأمة الإسلامية من جذورها الثقافية وقد أصبح مفهوما لدى المسلمين أن الحضارة الغربية هي التي ستنقذ هذا العالم من كل مشكلاته لأنها حضارة إنسانية شاملة- بينما هي حضارة لا تعمل إلا لمصلحة أبنائها

ولو على حساب المجتمعات البشرية كلها ٠

إن الإنسان في الحضارة الغربية لا يساوى شيئا - اللهم إلا بمقدار ما يقدم لها من مال أو خدمات أو غير ذلك - وأصبح الغربي يمتلك بالمال والقهر ناتج عمل الإنسان وكفاحه ٠

نعم لقد زهت الحضارة الغربية الحديثة بما حققت من اكتشافات مادية جعلت الناس ينظرون إليها في إعجاب وأعلنوا أن هذه الحضارة لا تعلو عليها آية حضارة أخرى ، ولذلك فإن الحضارة الغربية استرقت الإنسان ولكن بصورة جديدة لم تكن معروفة من قبل ذلك لأن السيد في الحضارات القديمة كان يقوم بإطعام عبده وكسوته وسكنه حتى يستطيع أن يقوم بالعمل الذي يوكل إليه لمصلحة سيده ، فالسيد يمتلك بالمال والقهر ناتج عمله وكفاحه- بينما السيد في الحضارة الغربية الحديثة لا يرهق نفسه مع عبيده لإجبارهم على العمل بل إنه يتخذ وسيله جديدة تفتق عنها ذهنه وهى : أن يسيطر على عقول الناس وقلوبهم ، وبذلك يستولى دون مقابل على ناتج عرق الإنسان وكفاحه بل يمتلك أيضا عقله وفكره ، لقد أصبح هناك قابلية للرق عن طريق الأيدلوجيات الحديثة التي يعتنقها المسترقون في الحضارة الحديثة والقابلية للرق أخطر من الرق نفسه لأنه نوع من الاستلاب الثقافي الذي نجح فيه الغرب وعن طريقه لن يحس الإنسان بالظلم الواقع عليه ٠

وبالتالي لن يسعى إلى تحرير نفسه أو المطالبة بحقه ، وكيف يفعل ذلك وهو راض بما هو عليه من ذل واستبعاد ؟

ثم إن الاستلاب الثقافي في العصر الحديث شمل الأفراد كما شمل الدول بحيث تكون الدول المسترقة تابعة اقتصاديا وسياسيا للدولة المسترقة ولذلك فإنها تتأثر بها اجتماعيا وفكريا وثقافيا ، ثم تأتى بعد

ذلك التبعية السياسية لترينا وجها آخر من وجوه الاستلاب الثقافي وهى تظهر في تبعية الدول الإسلامية لسياسة الدول الغربية ولو لم يكن لها مصلحة في ذلك ، بل ولو كان ضد مصلحتها لأن الاستلاب الثقافي جعل هذه الأمور عادية وتلقى قبولا عاديا كما نرى في كثير من بلاد العالم وتصل هذه التبعية إلى درجة المؤامرات والاغتيالات .

ومن مظاهر الاستلاب الثقافي :

١- التبعية الفكرية التي تظهر في أن ينظر سكان الدول الإسلامية بمنظار الدول الغربية التي تتبعها.

٢- فروسيا مثلا حين قتلت مئات الآلاف من مسلمي أفغانستان لم يتكلم أحد .

٣- والصرب حينما قتلوا مئات الآلاف من مسلمي البوسنة والهرسك وعشرات الآلاف من مسلمي كوسوفا لم يتكلم احد .

٤- وإسرائيل حينما تقتل الآلاف من الفلسطينيين وتدمر البيوت والمساجد لا يتحرك احد وهكذا .

وكان هذه الأمور شيئا عاديا لا يستحق التفكير.

٥- ولكن لبنان حين تحتجز أمريكا واحدا - مجرد احتجاز - تقوم الدنيا كلها من شرق وغرب مسلمين وغيرهم بحجة أنهم يتحركون بدوافع إنسانية.

٦- ومصر حين تحكم على جاسوس إسرائيلي بالسجن تقوم الدنيا كلها بجهود مختلفة لإطلاق سراحه

٨- وتفجير سفارتين لأمريكا في جنوب إفريقيا تجعل العالم الغربي يقيم الدنيا ولا يقعدها ويهاجم السودان وأفغانستان بالصواريخ المختلفة بدون سبب حقيقي.

ترى أين كانت هذه الدول التي تتشدق بالإنسانية حين قتل

المسلمون في أفغانستان والفلبين والبوسنة والهرسك وكوسوفا وغيرها من البلاد ؟

ومع ذلك فإن الدول الغربية لا تخفي شيئا من ذلك لأنها لا تخشى أحدا من المستعمرين ثقافيا ففي عام ١٨٩٩م صدر بيان رسمي عن إدارة الاحتلال الفرنسي توضح سياسة التربية والتعليم في مدغشقر بالآتي :(نريد أن نجعل المدغشقريين الأحداث رعايا أوفياء ومطيعين لفرنسا ، وأن نقدم لهم تعليما صناعيا وزراعيا وتجاريا ليسد حاجات المستعمرين ومختلف الدوائر المستعمرة) ، في عام ١٩٨٩م صرح وزير المستعمرات البريطاني (هنري سيمون) بأن التربية في المجتمع الاستعماري إنما تتم لخدمة المستعمر .

والاستعمار الثقافي يطلق كلمة الإرهاب على الإسلاميين فقط مع أنه رد فعل لما تقوم به إسرائيل والصرب والحكومات التي تسير على هذا المنهاج،ولا يسمى أحد مما تقوم به إسرائيل والصرب والهند ولا الحكومات التي تسير على هذا المنهج كلمة إرهاب ، ولكن حين يدافع المسلمون عن حقوقهم يقولون :(إن هذا إرهاب) .

أساليب أخرى وقد استطاع الغرب أن يركز في البلاد الإسلامية العنصرية التي تهدم ولا تبنى وتفرق ولا تجمع .

والصراع العنصري اتخذه أعداء الإسلام وسيلة لتمزيق المسلمين ومن ذلك العنصرية بين البربر والعرب وبين العرب والأكراد كما استطاع أن يركز على القومية التي تتجاهل الدين كرابطة من الروابط الأساسية للمجتمع الإسلامي وأن يركز على كثير من التعبيرات التي تفهم بمفهومها الغربي البعيد عن القيم وعن الأخلاق مثل: الحرية والإبداع والحب والتنوير والعلمانية والوطنية .

وبذلك نقل الفكر الغربي والقيم الغربية وفرضها على أفكار الناشئة

وأكره الناس على قبولها فزين للناشئة حضارة الغرب وأثار إعجابهم بها وأظهر لهم أن الحضارة التي جاء بها كاملة ومعصومة من الخطأ

كما أطلق لدى أبناء الدول الإسلامية شعورا بالنقص والضعة تجاه تراثهم وقيمهم وحضارتهم عاملا على ابراز جوانب التخلف في ذلك التراث آملا أن ينزع الأمة الإسلامية من جلدها ويجردها من درعها الثقافي الواقي .

كما أنه أتى عن طريق النظام التربوي بطائفة من المغتربين عن تراثهم وأمتهم ليعينوه على تحقيق القوامة الاستعمارية .

وأصبح المسلمون يتحدثون عن الإسلام في مناسبات معينة ولا يتحدثون عن الشريعة ولا عن الحكم الإسلامي ولا عن الأخلاق وقد أفرغوا التاريخ الإسلامي من محتواه في المنهج الديني بذكر أوربا وقوتها ونهضتها وحضارتها وأصالتها ونظمها ولا يكتب عن الصليبية وأهدافها ولا عن الربا وآثاره وهكذا ، بل يكتبون عن الإباحية الجنسية وكأنها ضرورة لا غنى عنها على مذهب فرويد .

ومع ذلك كله فإنهم يخافون من كلمة الإسلام لأنهم لا يطمئنون إلى أنه سيصبح نائماً على الدوام يقول جب في كتاب "وجهة العالم الإسلامي" : (ان أخطر ما في الإسلام أنه ينتعش فجأة دون أسباب ظاهرة ودون أن نستطيع أن نتنبأ بالمكان الذي ينتعش فيه وعلى الرغم من هذا كله فلم تكن الصليبية تتوقع أن يكون الانبعاث على هذه الصورة) .

ويأتي سؤال : ترى ما السبيل إلى التخلص من هذا كله ؟

والجواب أنه لابد من إجراء عملية تطهير واسعة تزيل آثار محاولات الاستلاب الثقافي ونسترد بها هويتنا الثقافية المفقودة ، وذلك لا يكون إلا بمراجعة شاملة لمناهج التعليم حتى نطهرها من كل ما هو غريب عن ديننا وثقافتنا ونبعدها عن التبعية لكل ما هو غربي ومثل ذلك

اجهزة الدعاية والإعلام بكافة صورها ويمكن أن يكون ذلك على مرحلتين :

الأولى : مرحلة حرث . الثانية : مرحلة غرس .

فمرحلة الحرث تزيل الاستلاب الثقافي وآثاره في جميع نواحي الحياة ، ومرحلة الغرس نسترد بها ثقافتنا وهويتنا المفقودة . وذلك يكون بالتربية الإسلامية الشاملة الكاملة النابعة من قيمنا وديننا وأخلاقنا وثقافتنا لأنها الوسيلة الوحيدة للوصول إلى ما نبغي من أهداف ، وصدق الله العظيم القائل في كتابه العزيز :﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام: ١٥٣) .

البغاء الوحشي : انعقد المؤتمر الدولي - للجريمة في مقر هيئة الأمم المتحدة بجنيف خلال شهر سبتمبر سنة١٩٩٥م وقد أثير في هذا المؤتمر ظاهرة بدأت تتفشى في جسد المجتمعات الغربية وهى ظاهرة البغاء الوحشي التي انتشرت وبائيا في المدن الكبرى في المجتمعات المتقدمة ماديا ثم بدأت تتسلل إلى بعض المدن الكبرى في المجتمعات الأخرى الغنية وهذه ظاهرة عصر المجتمعات الاستهلاكية وحضارة الأشياء لا حضارة الإنسان فقد تحكم عامل الرفاهية بإشباع الغرائز والرخاء بتفضيل الأشياء على حساب العوامل الأخلاقية والمعنوية للإنسان .

البغـــاء :قبول لمزاولة جنسية معينة في مقابل يعطى أو يطلب (والقوادة) هي التي تتوسط من طرف إلى طرف بهدف الكسب المادي والاتحاد الدولي الذي مقره مدينة جنيف نعت التوحش قال :(معناه انه جاء بلا مقدمات وبلا عنوان مرتبط بمكان المزاولة ودورها وبلا

احتراف فهو التقاء مقنع مرتبط بتطلعات الرفاهية في المجتمعات الاستهلاكية مرتبط بشراء ثلاجة أو سيارة أو اقتناء أثاث أو غير ذلك وقد ارتبط بموجة التحلل الجنسي مع الميل العاطفي وضعف مشاعر التسامي والرغبة في التغيير والتبديل بعد أن عم التغيير في كل شيء بالمجتمعات الصناعية تغييرا للباس في كل عام وتغيير السيارات وتغيير طرق قص الشعر وتمثل المطلقات والمفترقات عن أزواجهن نسبة ٤٠٪ من عدد المزاولات لهذه المهنة ومعنى ذلك أن الطلاق وافتراق الأزواج يتصدران أرضية البغاء الوحشي ومن ناحية السن فان نحو ٤٠٪ من المزاولات لهذا البغاء فوق الثلاثين من عمرهن بينما نسبة ما بين العشرين والثلاثين تمثل ٣٥٪ وهذا يؤكد سلبية التجربة في الزواج أو الاقتران أو الخطوبة بعد ممارسة الحياة المشتركة وتذوقها مع الرجل وتمثل نسبة ما دون العشرين ١٥٪ لان مجتمعات المدن الصناعية المتقدمة فيها تجمعات تعاطى المخدرات لاحتياج المزاولة إلى الكسب لتغطية حاجاتها- وفي بعض الأحيان تغطى حاجات الشريك في الحياة الاجتماعية - بينما بالنسبة لما فوق العشرين تتصدر التطلعات الاستهلاكية ومعطيات الرفاهية المتنوعة ، ومن ناحية الثقافة تصل النسبة إلى ٥٨٪ لدى المزاولات ممن لهن ثقافة عامة أما من يتمتعن بثقافة مدرسية متوسطة فالنسبة ١٥٪ ومن ناحية المهنة فقد شكلت البائعات والكاتبات والسكرتيرات وعارضات الأزياء والحلاقات والدلكات نسبة ٥٦ ٪) .

البداية كيف حدثت : بداية المزاولة جاءت نتيجة لفضول أو تشجيع طرف آخر مزاولة أو وسيط مع ميل ضمني وتطلع مادي لا يتمشى مع الامكانات المتوفرة لدى المزاولة بنسبة ٥١٪ والانزلاق

بالصدفة نحو ١٨٪ ومن ناحية الفترات اليومية يتصدر النهار المزاولة لأنه يلتحم مع الحياة اليومية ونشاطها وبخاصة في الفترات المسائية بعد الظهر حيث امكانات الرقابة الأسرية والضبط الاجتماعي أقل وقد بلغت النسبة ٥٠٪ ومن حيث المزاولة على مستوى الشهر ترتفع في منتصفة إلى ٤٠٪ وفي نهايته إلى ٥٠٪ وذلك لان الدخل في أول الشهر يكون قادرا على إشباع وتحقيق الرغبات الشرائية نسبيا واستهلاك الدخل الشهري بسرعة يتطلب التعويض وبخاصة أمام متطلبات الرخاء ·

المكان : الطابع الإلتقاطي لهذا النوع من البغاء جعل مكان مزاولته يتميز بالفورية والاختفاء والسهولة عن أي مكان آخر وتشكل الأماكن المستترة في وسط المدينة أكبر نسبة سواء كان يقتنيها المزاول أو الوسيط أو في أي مكان متيسر فورا يصل إلى ٧٣٪ وفي المجتمعات الغنية فان الضبط الاجتماعي والرقابة الأسرية يشكلان عائقا في توفير المكان المناسب ومن ثم فان هذه الأماكن كثيرا ما تتستر تحت مسببات متنوعة·

البيئة الأسرية : تشكل أرضية هامة لإعاقة هذا النوع من البغاء أو حالات البغاء الوحشي أسر مهتزة ومفككة أو ينتشر فيها الطلاق بنسبة ٧٢٪ وندر وجود بغاء وحشي في الأسر المنسجمة المستقرة بنسبة ٣٪ ومرد ذلك الشذوذ يرجع إلى ظروف صحية أو جنسية نتيجة لتحلل وظيفي أو الصدفة أو الانزلاق وكثيرا ما شكلت المزاولة للبغاء الوحشي في حد ذاتها معاناة نفسية تساعد على مزيد من المزاولة ثم إلى مزيد من المعاناة كحلقة مفرغة قد تؤدى في النهاية إلى الانهيار العصبي أو الى الانتحار وبخاصة اذا ما صوحبت بمزاولات أخرى كتعاطي المخدرات أو احتساء الخمر أو لعب الميسر بإدمان ·

الوضع القيمي : الاعتقاد في القيم الروحية والأخلاقية ومدى الالتزام بها يلعب دورا أساسيا في قابلية التأهيل لهذه المزاولة الإنحرافية إذ أن الوضع القيم يشكل مفارقة داخلية ومناعة ذاتية أمام مبررات الإغراء وإذا كان العامل الاقتصادي على مستوى الرفاهية يجسد محررا ارتكازيا فان الوضع القيم وغيبته يعطى فاعلية لهذا العامل على حسابه وقد وصلت نسبة اللاجدوى للقيم الروحية في هذا العصر إلى ٨٣٪ وليس من المعقول تصور خلفيات ذات فاعلية في غيبة الروحانية فمن ينكر الخالق ويتنكر له يهون عليه التنكر لقيم صنعها المخلوق والقيم الأخلاقية ما هي إلا امتداد للقيم الروحية ،وحينما تخلع الجذور تموت الفروع ولذلك كانت نسبة الوازع الخلقي والاعتقاد فيه معنويا ١٠٪ والالتزام بالأخلاق صفر٪ ولا جدوى ولا فائدة بنسبة ٧٥٪ باعتبار أن السلوك الأخلاقي يأتي كرد فعل لسلوك أخلاقي لدى الآخرين فان كانوا بدورهم لا يلتزمون بذلك فان النفعية والمصلحية تعتبر أساسا للسلوك العام وهى التي فيها تأمين الغذاء والكساء والسكن والعلاج وقضاء العطلات الموسمية وتامين تربية الأطفال إن وجدوا،وعلاجهم بمعنى حياة متوسطة كريمة لأسرة قائمة دون تطلعات كمالية ودون معاناة من الضروريات بنسبة٦٣٪ وفي الشرائح التحتية يوجد البغاء العادي بنسبة الضرورة بنسبة ١٩٪ ٠

عوامل البغاء الوحشي :

العامل الاقتصادي : يشكله التسلط الإشباعي الغرانزي والبحث عن الرفاهية الاستهلاكية بما لا يتناسب مع الدخل

العامل القيمي : يعنى اهتزاز المعايير الروحية والأخلاقية مما أدى الى فقدان التوازن والتعادل في داخل ذات انسان القرن العشرين وولد

صراعا خفيا بين إنسانيته المنطقية إلى التسامي وحيوانيته الغرانزية المندفعة وراء الإشباع ،فبات إنسانا حائرا ممزقا بقدر ما يتغنى بالمثل الإنسانية مظهريا بقدر ما يتنكر لها سلوكيا وقد انعكس هذا التناقض على الجسد فانتشرت أمراض الرفاهية وهى أمراض تعنى معاناة الجسد والنفس من كل شيء فيشكو صاحبها من الأرق والضيق والسأم والقلق ، كما يشكو من اضطراب وظائف الجسد وأجهزته دموية أو تنفسية أو هضمية ويعيش بين المهدئات والمقويات وفي هذا المضمار تنتشر أمراض الرفاهية تنشرها مكروبات الغش والخداع والرياء والكذب والنفاق وكل ذلك في سبيل إشباع وقتي لغريزة أو اقتناء لسلعة زائلة .

وقد تصدى (البغاء الوحشي) قائمة هذه الأمراض معتمدا من ناحية في إطار التبرير على فلسفة الإشباع بأي ثمن وبأي مقابل ومن ناحية أخرى مستغلا غيبة الوازع الروحي والخلقي.

العلاج : بدأنا نرى هذا النوع من البغاء الوحشي يظهر في البلاد الإسلامية ،والعلاج يكون بالعودة إلى الخالق سبحانه وتعالى والالتزام الكامل بالأخلاق الإسلامية وجعل رضا الخالق سبحانه وتعالى وتنفيذ أوامره فوق كل شيء والرضا بكل ما يكون عليه الإنسان فمن بات آمنا في سربه معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا بحذافيرها والإنسان الذي يرضى بما قسم الله له يكون أغنى الناس ولابد من معرفة الغزو الثقافي والاهتمام الغربي بالمادة والرفاهية والمزيد من الرفاهية التي جعلت الإنسان الغربي يبتعد ابتعادا كاملا عن الصلة بالله والأخلاق الفاضلة ولذلك فانه يعانى ما يعانى من الأرق والقلق وعدم الإحساس بالراحة النفسية ولذلك فانه يهرب من المجتمعات عن طريق المهدئات والمخدرات وعن الحياة عن طريق الانتحار الفردي أو الانتحار الجماعي بينما المسلم يرى أن له وظيفة في هذه الحياة فهو

مستخلف في الأرض لعمارتها طبقا لمنهج الخالق سبحانه وتعالى ولذلك فهو يشعر بالراحة النفسية والطمأنينة القلبية والرضا بما قسم الله له في هذه الحياة وهو يعلم أنه يعمل في الدنيا لإرضاء الخالق سبحانه وتعالى والفوز بجنة عرضها السماوات والأرض.

على هامش مؤتمر بكين

أضواء على مسرحية (كل شيء في الحديقة)

لقد خطت الحضارة الغربية خطوات واسعة في مستحدثاتها التكنولوجية إلى درجة أن الإنسان لا يكاد يلاحقها وفي الوقت نفسه تركت الناحية الروحية وأهملتها إهمالا يكاد يكون تاما،وقد لاحظ ذلك الكسيس كاريل فقال في كتابه "الإنسان ذلك المجهول" :(ليس هناك توازن على الإطلاق بين الإنسان نفسه وبين حضارته المادية التي سبقته بخطوات إلى الأمام) .

ملامح المجتمعات الغربية الحديثة : وللمجتمعات الغربية الحديثة ملامح واضحة أظهرها الآلية والجماعية والتخمة المادية،ومع ذلك ففيها خواء روحي وسحق للفردية وفيها عزلة عجيبة تفرض نفسها على العلاقات الإنسانية وفيها تكتلات تتحكم في مصير المجتمعات المعاصرة وعالمها .

وأصبح الناس في المجتمعات الغربية الحديثة يتميزون بالقسوة وانعدام الشفقة بالمخلوقات المنكودة التي تزداد عزلة وتعاسة ودمارا يوما بعد يوم، ويكاد النشاط في هذه المجتمعات يكاد يكون قاصرا على توفير أسباب الراحة والمتعة والاستكثار من أدوات الزينة والترف فكلها مغانم مادية صرفة،والناس هناك يدفعون ثمن ذلك غاليا إذ أنهم يضحون

في سبيل ذلك بالقيم الخلقية والروحية وهى التي تسعد الإنسان وتبعث في نفسه الراحة والطمأنينة والهدوء والسعادة،وتجعل الإنسان يحس بأن له قيمة في هذه الحياة ورسالة يؤديها في هذه المجتمعات

والحضارة الغربية حضارة صناعية ذات تقنية تتقدم يوما بعد يوم ولذلك فإنها تجرف الفرد العادي إلى الانحراف بما أحدثت من رخاء وبما استحدثت من وسائل الترف وأسباب الإغراء وأساليبه ، وأصبح الفرد في هذه الحضارة يعيش مأساته الخلقية فلم يعد يهتم إلا بتحسين مستوى المعيشة بمعناها المادي فقط .

كل شيء في الحديقة مؤلف هذه المسرحية هو الكاتب الإنجليزي جابلز وقد قام بترجمتها د/إسماعيل الموافي والأستاذ على أحمد محمود ، وتمثل هذه المسرحية تيار الإغراء الجارف في المدينة الغربية الذي لا يستطيع أي فرد أن يقف في طريقه لأنه غير مسلح بالقيم الروحية والخلقية التي تقف حاجزا أمامه والتي تجعل الرؤيا أمامه سليمة وتجعل له شخصية مستقلة تقاوم الانحراف فلا يقول الإنسان(أنا مع الناس إن أحسنوا أحسنت وإن أساؤوا أسأت) ثم إن وسائل الإعلان والإغراء بالشراء لا يصمد إزاءها أحد في هذه الظروف وبخاصة وأن غريزة التقليد قوية في الإنسان، كما أنها تمثل دعاة الانحراف وكيف يستخدمون الناس في مساعدتهم على نقل الانحراف من مكان إلى مكان .

محتويات المسرحية :المسرحية تمثل زوجة من الطبقة الوسطى البريطانية التي تعيش في وسط لندن وهى تعيش مع أسرتها وزوجها عيشة جيدة فلها بيت من طابقين به غرف كثيرة وتحيط به حديقة واسعة بها حشائش خضراء وزهور يانعة ولها سور عال يجعل من البيت قلعة ولها ابن في الخامسة عشرة من عمره وللأسرة دخل كبير يتيح لها

أن تشترى الكثير من منتجات المدينة الحديثة،وقد أتاح لهذه الأسرة دخلها أن تعلم ابنها تعليما خاصا يكلفها الكثير في كل عام ،وللفراغ الروحي الذي تعيشه الأسرة أصبحت الخلافات بين الزوجين دائمة وهى خلافات على التوافه من الأمور ،والزوجان لا يكادان يلتقيان على شيء اللهم إلا في عدم الاكتفاء بما تحت أيديهم وبشعورهم دائما بأنهم في حاجة إلى مزيد من المال ليستكملوا به أشياء أو ليغيروا به أشياء في المنزل أو في الحديقة ٠

وبطبيعة الحال فهم لا يفكرون في الزاد الروحي عن طريق الاتصال بالله تعالى أو الزاد العقلي عن طريق التفكير في ملكوت الله تعالى وعن طريقة القراءة في الكتب،بل إنهم لا يفكرون حتى في ملء الأرفف من الكتب كمظهر من مظاهر القراءة والثقافة ٠

الزوجة تبحث عن وظيفة والزوجة مع هذا كله تحس بالفراغ إلى جانب أنها تريد المزيد من المال الذي يمكنها من استبدال الأشياء بأشياء جديدة وهى ليست بدعا في هذا الأمر فان زميلاتها يعملن ويكتسبن وقد أصبح لكل واحدة سيارتان بدلا من سيارة واحدة ،لكن الزوج لا يوافق على الوظيفة لأنه يخشى من اضطراب شؤون المنزل ، والزوجة قد اتخذت قرارها وأعلنت عن طلب العمل وهى لا تستشير زوجها وإنما تعلمه بالقرار ،وسرعان ما وجدت المرأة العمل ، ولكن أي عمل؟

لقد كان العمل الذي وجدته هذه المرأة لدى امرأة يهودية تدير منزلا للدعارة في حي من أرقى أحياء لندن وأفخمها وتعترض جوني (وهذا هو اسم الزوجة)في بداية الأمر على هذا العمل ولكن هذا الاعتراض يختفي شيئا فشيئا إلى أن اقتنعت أن هذا عمل عادى وسرى في منزل اليهودية ويشترك فيه عدد من بنات الطبقة الراقية ٠

وتبدأ الأموال في التدفق على (جوني) ويظهر ذلك عليها ويكتشف

الزوج (برنارد) مصدر هذه الأموال المتدفقة فيثور لكرامته ويغضب من زوجته ويرتفع صوته ويحاول أن يصفعها على وجهها بل وأن يطردها من البيت ، وفي اللحظة الحاسمة يدق الباب ويدخل جماعة من أصدقاء الزوجين ومن جيرانهم مع آسرهم لأنهم كانوا مدعوين إلى حفل عشاء ، وبدأ الجميع في الأحاديث والسمر وإذا باليهودية صاحبة بيت الدعارة تهبط عليهم دون دعوة ودون توقع وبدخولها إلى الحفل ينكشف ستر جميع الزوجات اللاتي يباهين بوظائفهن وبما تدر عليهن من أرباح ،أما الرجال فقد كانوا يعرفون حقيقة ما تزاوله نساؤهن وقد استسلموا للوضع واستساغوه من قبل كما استسلم له برنارد اليوم وقد رتبوا حياتهم المادية على أساس هذا المورد الخصب ٠

وتخبرهم اليهودية بأن سبب مجيئها غير المتوقع هو مطاردة الشرطة لها وهنا يصاب الجميع بالذعر والهلع لأنهم ظنوا أن ستر الزوجات قد انكشف وأن الشرطة قد علمت بأسمائهن،لكن اليهودية تطمئنهم من هذه الناحية وتخبرهم بأنها ستعمل على مواصلة نشاطها في أي مكان آخر أكثر أمنا بعد أن عرفت الشرطة هذا المكان وطلبت منهم المعونة في اختيار المكان الجديد،وهنا يتبارى الأزواج في تقديم شتى المساعدات كل حسب إمكانياته ٠

قمة المهزلة : واستجابة لرغبة اليهودية تشكلت مجموعة عمل لتقديم المساعدات المطلوبة لها،ويرأس هذه المجموعة(برنارد) ويبحثون عن البيت الذي تتحقق فيه الشروط المطلوبة وهكذا وقع اختيارهم على منزل يقع في ضاحيتهم ؛بل وعلى مقربة من بيوتهم وفي هذا يتيسر على الزوجات أداء مهمتهن في يسر وسهولة بدلا من أن يذهبن إلى قلب لندن.

الفنان جاك : الفنان جاك أحد جيران عائلة برنارد يذهب في زيارة

لأسرة برنارد فيلمح اليهودية ويتعجب من وجودها لأنه يعرفها ويذكر أنها كانت تدير بيتا للدعارة في مدينة إيطالية ،لكنهم قدموها إليه على أنها صديقة لجينى ولكن هذا الأسلوب لم يعجبه وحاول أن يخرج غاضبا ،وتحيرت جينى ماذا تعمل ، إنها تخشى الفضيحة وتشير إلى الرجال طالبة منعه من الخروج وإلا انكشف السر ويتردد الرجال في عمل أي شيء تريده النساء ويرى النساء أن هؤلاء الرجال لا يرجى منهم نفع،وبذلك تحمس الرجال لتحقيق آمال زوجاتهم وتكاثروا على جان يطرحونه أرضا ويوسعونه لكما بل إنهم ضربوه بزجاجات الشمبانيا حتى يجهزوا عليه وقد تم لهم ذلك .

وعندئذ تحير الرجال كيف يتصرفون؟ وماذا يفعلون بالجثة ؟ إنهم يخافون الفضيحة فيقعون في مشكلة أكبر لكن جينى تصدر الأوامر إلى الرجال الحيارى بأن يحفروا حفرة ليواروا فيها جسد الفنان ، ويستجيب الرجال إلى هذا الأمر لأن تنفيذه سيخلصهم من هذه المشكلة التي تحيروا فيها وبدؤوا ينقلون إلى الحديقة الأعشاب لتخضر فوق الفنان جاك،وبعد أن انتهوا من مهمتهم استراحوا وجلسوا يستعيدون الموقف وإذا ببرنارد يؤكد لهم أن الجثة كان بها بقية من حياة قبل أن يواريها التراب)

النفاق الاجتماعي : وتلقى هذه المسرحية الأضواء على ألوان من النفاق الاجتماعى فحين تمارس جيني البغاء لا تشعر بشيء ولكنها تغضب أشد الغضب حين يطلق على محل عملها اسم (الماخور)وبرنارد الزوج يستسلم لاشتغال زوجته بالدعارة ومع ذلك فهو يغضب أشد حين يرى الفنان جاك يقبل زوجته ، والجميع يرون الفضيحة في أن يحضر الضيوف ولا يجدون شرابا أما أن يكون من إيراد الدعارة فهذا شيء لا يهم ، وهم يقفون صفا واحدا في مواجهة أي شخص يفلح في أن يعيش

خارج إطار الاستسلام ويتفقون في القضاء عليه ·

والقضاء على جاك الفنان هو القضاء على بقايا ضمير استطاع أن يطلق صيحة ضد التدهور الخلقي ولكن قبل أن تصل صرخته إلى أسماع أولئك الذين لفتهم دوامة الحياة في حضارة لا ضمير لها يكونون قد قضوا عليه القضاء النهائي ·

وهكذا تصب مسرحية (كل شيء في الحديقة) سخطها على الجانب المادي والجانب الخلقي من الحضارة الغربية الحديثة في صورة ناطقة بكل ما يريده مؤلفها ·

التخطيط السليم في الرؤية الإسلامية

ما المقصود بالتخطيط : يقصد بالتخطيط العملية المنظمة التي يتم بها اختيار أحسن الحلول للوصول إلى أهداف معينة،وقد يكون التخطيط طويل المدى أو قصير المدى وقد يكون في الشؤون الاقتصادية أو العسكرية أو الثقافية أو غير ذلك مما يهم الأمة في مستقبل حياتها·

والتخطيط في جوهره موازنة بين القدرات والامكانات المتاحة على اختلاف أنواعها وما يراد أن يحقق من أهداف وتطلعات وآمال·

خصائص التخطيط : للتخطيط خصائص كثيرة أهمها ثلاث

أولا: انه يتضمن النظر إلى المستقبل وآماله بالنسبة لفرد أو مجموعة من الناس أو للدولة أو لمجموعة من الدول التي تسير على منهج واحد في نوع من أنواع التخطيط في ضوء الامكانات المتاحة سواء أكانت هذه الامكانات اقتصادية أم بشرية أم غيرها ·

ثانيا : انه يعنى العمل الايجابي الهادف الذي يقوم على أساس متين من الفهم والجدية الكاملة في العمل ·

ثالثا : انه يعنى التنظيم في علاقات الأفراد بعضهم ببعض ، وبالأنظمة الاجتماعية المختلفة في ضوء إدراكه للعلاقات بين الأسباب والنتائج ·

من هنا كان لابد عند التخطيط لعمل ما أن تتوفر له البيانات الكافية للموضوع الذي يخطط له والإحصاءات التي تلزم مع العناية الكاملة بأن يكون كل ذلك على درجة كبيرة من الصحة والدقة حتى يكون التخطيط قائما على أساس سليم ·

أنواع التخطيط : والتخطيط له أنواع كثيرة وقد تبنت كل دولة ما يناسبها من أنواع على حسب تقدير المسئولين في كل دولة·

فهناك التخطيط الإلزامي : الذي يشمل كل قطاع من قطاعات الدولة فيفرض عليه الالتزام بما تحدده الخطة من الاهداف·

وهناك التخطيط الحر: وهو الذي تقوم فبه الدولة بدراسات تنبؤية في الاقتصاد والتكنولوجيا،ثم تترك المؤسسات ورجال الأعمال يتصرفون بحرية حسب ظروفهم·

وهناك التخطيط الباني : وهو الذي تحدد الدولة بموجبه الاهداف ثم تضع المؤشرات الى ما ينبغي اتخاذه لتخطيطها تاركة للمؤسسات حرية التصرف والمبادرة التلقائية·

وهناك التخطيط التشجيعي : وهو الذي تكتفي فيه الدولة بالالتجاء إلى بعض الأساليب في الثواب والعقاب عن طريق الضرائب وغيرها من اجل تحقيق أهداف الخطة بدلا من أن تقوم بالتنفيذ·

أهمية التخطيط : ويأتي سؤال لماذا تهتم الدولة في كل

قطاعاتها بالتخطيط؟

والجواب: أن التخطيط يساعد مساعدة فعالة على تحقيق الأهداف مع الاقتصاد في الوقت والجهد والمال ، ولكي يكون التخطيط سليما فلابد وان يحقق الأهداف التي تنسجم مع المجتمع وقيمه وأخلاقه ومعتقداته وإلا فان المجتمع سيكون في حرب داخلية وبذلك يخسر المجتمع من هذا التخطيط .

ومن ذلك ما نلاحظه في نظمنا التعليمية في جامعاتنا إذ أن الخطة والمحتوى واردتان من الخارج ولا تتفقان مع قيم الشعب ومعتقداته ، ومن هنا ينشأ الصراع بين خريجي الجامعات وبقية طوائف الشعب للاختلاف على القيم والمعتقدات أحيانا وهذا ما يحدث في معظم دول العالم الإسلامي .

العوامل التي تؤثر في التخطيط :

أهم العوامل التي تؤثر في التخطيط ما يأتي.

أولا:العوامل الاقتصادية : ويقصد بها الامكانات المادية المتاحة لإنفاقها على الخطة التي يراد تنفيذها،وقد تكون هذه الامكانات من ميزانية الدولة أو من تبرعات الأفراد أو من الاقتراض الداخلي أو الخارجي أو غير ذلك وقد تكون مزيجا من هذا كله.

ثانيا:العوامل الاجتماعية : ويقصد بها السكان ومدى استعداد المجموعة التي ستقوم بتنفيذ ما خطط لها سواء أكان ذلك من الناحية الجسمية أم العقلية أم الثقافية أم النفسية ،ثم معدل النمو السكاني الآن بالنسبة إلى مستقبل الأيام .

ثالثا:العوامل السياسية : ويقصد بها الأسلوب الذي تسير عليه الدولة وهل هو أسلوب شيوعي أو أسلوب رأسمالي أو أسلوب إسلامي؟ لان هذا

يؤثر على التخطيط كما يؤثر على التنفيذ.

والتخطيط يستلزم وصف الموقف الحالي وتقويمه في الناحية التي يراد عمل التخطيط لها ثم دراسة الواقعية والفاعلية.

التخطيط في الإسلام : التخطيط في الإسلام ينبع أولا من عقيدة المسلم التي ينبغي أن تكون أسسها ومفاهيمها واضحة في ذهن المخطط لتحقيق رسالته في هذه الحياة،فالمسلم لا يبدأ من فراغ ولا يسير إلى هدف مجهول أو هدف مقتصر على الناحية المادية وحدها،فالمسلم خليفة الله في الأرض أمر بعمارتها ونشر العدالة والأمن فيها ولذلك فلابد وان يلتزم المخطط بمنهج الله تعالى : ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ﴾ (الأنعام: ١٥٣) ، فإذا ما سار في هذا الطريق واعتصم بالله فهذا أول خطوات النجاح ﴿ وَمَن يَعْتَصِم بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (عمران:١٠١)، والاقتصاد في الإسلام جانب مهم في التخطيط الإسلامي ولكنه ليس الجانب الأهم؛لأن النظر إلى هذا الجانب وحده سيأتي بمشكلات جديدة تحتاج إلى حلول تأخذ الوقت والجهد وهذا ما يحدث في الغرب .

والتجربة من أسس التخطيط السليم والإسلام يدعو إليها والرسول عليه الصلاة والسلام يقول في مسألة تأبير النخل (انتم اعلم بشؤون دنياكم) كما روى مسلم،وانطلق المسلمون يجربون ويكتشفون إلى الحد الذي جعلهم قادة في هذا الميدان يقول رينيه ميليه :(لقد جاء المسلمون بميدان في البحث جديد بدأ يتفرع من الدين نفسه هو مبدأ التأمل والبحث وقد مالوا إلى العلوم وبرعوا فيها وهم الذين وضعوا أساس علم الكيمياء) .

كما أن الدكتور فرنتو ونتال يقول :(إن أعظم نشاط فكري قام به

المسلمون يدلنا جليا في حقل المعرفة والتجريبية ضمن دائرة ملاحظاتهم واختياراتهم،فإنهم كانوا يبدون نشاطا واجتهادا عجيبين حين يجمعون ويرتبون ما تعلموه من التجربة).

وقد ضرب القرآن الكريم مثلا للتخطيط السليم الذي قام على أسس منطقية فأمكن بذلك تلافي مجاعة كانت تهدد الناس جميعا بالهلاك لولا التخطيط السليم الذي قام به يوسف عليه السلام وهو أمين على الخزائن وذلك حين فسر الرؤيا التي جاءت على لسان ملك مصر في قوله تعالى ﴿ وَقَالَ ٱلْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ ﴾ (يوسف:٤٣)وتولى يوسف عليه السلام تفسير الرؤيا فقال ﴿ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا ﴾ (يوسف:٤٧)؛متتابعة مجدين بلا انقطاع في عمل مستمر وهى السنوات السبع المرموز إليها بالبقرات السمان فما حصدتم فاتركوه في سنبله لان هذا يحفظه من السوس والمؤثرات الجوية واحتفظوا به للسنوات العجاف التي رمز إليها بالبقرات العجاف،وهذه طريقة سليمة لحفظ المحصول سليما طوال هذه المدة إلا قليلا مما تأكلون فجردوه من سنابله ويكون الحب لكم والتبن لدوابكم،ثم تأتى من بعد ذلك سبع شداد لا زرع فيها يأكلن ما قدمتم لهن وكأن هذه السنوات هي التي تأكل بذاتها كل ما يقدم لها لشدة نهمها وجوعها إلا قليلا مما تحفظونه وتصونونه من التهامها ثم تنقضي هذه السنوات العجاف المجدية التي تأتى على ما خزنتم وادخرتم من سنوات الخصب تنقضي ويعقبها عام رخاء فيه يغاث الناس بالزرع والماء وتنمو كرومهم يعتصرونها خمرا كما ينمو السمسم والخس فيعتصرونها زيتا.

وقد عم القحط كل مصر ووصل إلى بلاد كنعان التي يسكن فيها

يعقوب وأولاده،وقد تولى يوسف عليه السلام التخطيط لهذه الفترة التي تبلغ خمس عشرة سنة وتولى التنفيذ الدقيق طوال هذه الفترة وقد كان يوسف عليه لا يعطى للرجل أكثر من حمل بعير حتى يستطيع أن يجتاز هذه السنوات العجاف بسلام .

وكان عليه السلام القدوة المثلى في التنفيذ فكان لا يشبع نفسه ولا يأكل هو والملك والجنود إلا أكلة واحدة في وسط النهار وهذه ميزة في التخطيط الإسلامي فالمسئول عن التخطيط أو التنفيذ لابد وان يكون أول الملتزمين بالتنفيذ بل وان يكون قدوة في ذلك فلا يأخذ أكثر من غيره بل يأخذ اقل من غيره حتى يكون الرضا بما يعمله كاملا ولعل هذا الالتزام هو الذي جعلهم يجتازون هذه المحنة القاسية بنجاح كامل .

والهجرة مثال للتخطيط الكامل المتكامل تولاه النبي صلوات الله وسلامه عليه في مرحلة من أهم مراحل الدعوة الإسلامية وأخطرها.

فقد بدأ النبي صلوات الله وسلامه عليه يخطط للهجرة إلى المدينة التخطيط الدقيق الذي لا يترك كبيرة ولا صغيرة في طوق البشر أن يعملها إلا عملها فقد استبقى النبي عليه الصلاة والسلام معه أبا بكر وعليا كجزء من الخطة فلكل منهما دوره الهام .

وبدأ أبو بكر يقوم بدوره المرسوم له فابتاع راحلتين حبسهما في داره يعلفهما استعدادا لهذه الرحلة واستأجر دليلا خبيرا بالصحراء ليستعين به في هذه الرحلة الشاقة وهو عبد الله بن أرقط ، وكان مشركا ولكنه كان أمينا على الأسرار ودفع إليه الراحلتين فكانتا عنده لميعادهما ، وقد حدد النبي عليه الصلاة والسلام دور كل من الأشخاص الذين وضعت الخطة على أساس اشتراكه في التنفيذ .

فمهمة عبد الله بن أبى بكر ،وهو غلام حاذق سريع الفهم أن يتسمع

بهما ما يقول الناس فيهما ثم يأتيهما إذا أمسى في الغار ليبلغهما بأخبار ذلك اليوم وبهذا يكونون على علم بكل تحركات قريش فهو بذلك كان يقوم بدور رجل المخابرات ٠

ومهمة عامر بن فهيرة مولي أبي بكر أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما إذا أمسى في الغار فيقوم بمهمة مزدوجة الأولى: أن يتتبع أثر عبد الله بالغنم فيعفي عليها والثانية: أن يؤدى الودائع التي كانت عند النبي صلوات الله وسلامه عليه لأهل قريش ٠

وكانت مهمة عبد الله بن أريقط أن يكون دليلهما في هذه الخطة ذلك لأنه كان خبيرا بالصحراء وموطن ثقة ٠

ومن التخطيط الذي اتبعه النبي عليه الصلاة والسلام في الهجرة سرية الخطة كلها، السرية التامة فلم يكن يعرف بالخطة إلا النبي عليه الصلاة والسلام وصاحبه والدليل حتى إن أبناء أبي بكر كانوا لا يعرفون شيئا عن وجهتهما ولم يعلموا إلا بعد الوصول إلى المدينة تقول أسماء: مكثنا ثلاث ليالي ما ندرى أين وجهة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أن استمعنا إلى صوت يتردد في مكة منشدا :

جزى الله رب الناس خير جزائه رفيقين حلا خيمتي أم معبد

نزلا بالبر ثم ترحلا فأفلح من أمسى رفيق محمد

قالت أسماء : فلما سمعنا قوله عرفنا أين توجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن وجهته إلى المدينة ٠

ومع أن المدينة تقع شمال مكة إلا أن التخطيط الدقيق جعلهم يتجهون إلى الجنوب لتضليل المطاردين ، وهكذا نجحت هذه الخطة النجاح الكامل فوصل النبي عليه الصلاة والسلام إلى المدينة بسلام حيث أدى رسالته كاملة بل إن الهجرة أصبحت مبدأ للتاريخ الإسلامي، لما لذلك من أهمية كبرى في حياة المسلمين ٠

الإحصاء والتخطيط :

والإحصاء عامل هام في التخطيط لأنه يبين الامكانات المتاحة لتنفيذ ما يراد تنفيذه وقد استخدم النبي عليه الصلاة والسلام الإحصاء في المدينة لمعرفة الامكانات الموجودة حتى يرسم الخطة على أساس سليم وقد روى البخاري أنه صلوات الله وسلامه عليه أمر بعض أصحابه بعد الهجرة إلى المدينة أن يحصر عدد الذين يلفظون بالإسلام فكان عددهم خمسمائة وألفا وقد كان يعرف عدد المهاجرين منهم وعدد الأنصار وعلى هذا الأساس بدأ يخطط للغزوات والسرايا حتى أتم رسالته.

خاتمة : والآن ونحن في مطلع القرن الخامس عشر الهجري ونحن نريد أن نبدأ صفحة جديدة في التخطيط وفي التنفيذ تعيد للمسلمين مجدهم وللإسلام عزته فإن علينا أن نفكر في تخطيط جديد كامل متكامل يجعلنا نسير في طريق تحقيق الهدف الذي نريد أن نصل اليه.

لابد وأن نخطط لتربية المجتمع الإسلامي تربية تقوم على أساس فهم المسلم لرسالته التي تجعله يحطم الصهيونية والاستعمار في كل صوره وأشكاله ثم تجعله يحمل رسالته إلى الدنيا كلها ليخرج من فيها من عبادة العباد إلى عبادة الله كما قال ربعي لرستم قائد الروم ثم يحقق رسالته باعتباره خليفة لله في الأرض يحق الحق ويبطل الباطل وينشر العدل ويعمر الأرض.

ولذلك فلابد من وضع خطة ليتوافق المجتمع الإسلامي مع الاختراعات التقنية المختلفة المتنوعة والمتطورة على أن يستوعبها ويستخدمها في حدود قيمه الإسلامية وإلا سار في طريق يتحول به عن هدفه الأسمى ويصبح المجتمع الإسلامي حائرا كالمجتمعات الغربية منصرفا عن القيم والأخلاق وفاقدا لأهم عناصر السعادة.

وإعادة تربية المجتمع الإسلامي تكون في جميع المجالات المجال التربوي ، والمجال السياسي ، والمجال العسكري ، والمجال الاقتصادي والمجال الثقافي وما إلى ذلك حتى يكون كاملا متكاملا ٠

بهذا يمكن للمجتمع الإسلامي ان يستعيد مكانته وأن يؤدى رسالته الإسلامية وأن ينقذ نفسه من موجات التحليل والضياع التي تسير إليها المجتمعات الغربية ثم ينقل منه هذه المجتمعات أيضا ،وبهذا يرضى المجتمع الإسلامي عن نفسه ويرضى عنه كل مجتمع في هذه الحياة ويرضى الله تعالى عنه ٠

الإحسان في الإسلام

الإنسان : خلقه الله تعالى في أحسن تقويم وجعله خليفة في الأرض وجهزه بحقيقتين عظيمتين: القلب والعقل وأقام كلا منهما على وظيفة؛ولابد لعمارة الكون وتحقيق النظام فيه من عمل كل من هذين الجهازين فلولا العقل لامتزجت نزوات النفس وأهواؤها بخفقان القلب وعواطفه ولولا القلب لما وجد الخير ولظلّ بنيان الفضائل والمثل العليا مجرد كلمات حلوة على الشفاه والإسلام دين الله الخالد وجامع الفضائل كلها وقد جاء ليخاطب العقل والقلب معا يخاطب العقل ليدرك ويدبر ويخاطب القلب ليحب ويتأثر ٠

والمسلم مطالب بالعمل على تقوية إيمانه وزيارته حتى يصل بها إلى درجة الإحسان،ودرجة الإحسان تظهر في قول الرسول:(ن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) رواه مسلم؛والإحسان بهذا المعنى هو القاعدة الكبرى التي يقيم عليها الإنسان بناءه كله وتشريعاته وتوجيهاته كلها ٠

والإسلام وحده هو الذي يجعل العبادة عملا والعمل عبادة والذي

يربط النفس والجسم والسماء والأرض والدنيا والآخرة كلها في نظام واحد وحينما يتوجه الإنسان المسلم بنفسه إلى الله تعالى فإنه سينظف نفسه لأن الله تعالى لا تخفي عليه خافية فكل عمل يراه وكل خاطرة يعلمها ﴿ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴾ (غافر:١٩) وحين ينظف المسلم نفسه ويحاسب نفسه على كل كبيرة وصغيرة ويراجع كل عمل عمله وكل كلمة قالها وكل خاطرة وسوست بها نفسه، حين يتم ذلك يستقيم أمر الحياة كلها ، ثم يستقيم أمر الحاكم والمحكوم يستقيم أمر المرأة والرجل، يستقيم أمر الوالد والولد يستقيم أمر الفرد والمجتمع .

الإحسان في القول : وقد طلب القرآن الكريم من المسلمين أن يحسنوا في القول :﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ (البقرة:٨٣) ، وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يوصى عباده بالقول الحسن وأن ينتبهوا إلى أن الشيطان ينزغ بينهم وهو لهم عدو مبين ﴿وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُواْ ٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ كَانَ لِلْإِنسَـٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾ (الإسراء:٥٣)

كما طلب الإسلام من المسلمين إلا يجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم فحاربوا فمن جنح للسلام فبها ونعمت ﴿وَلَا تُجَـٰدِلُوٓاْ أَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنْهُمْ ۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَـٰهُنَا وَإِلَـٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴾(العنكبوت:٤٦)

وحين يدعو الإنسان المسلم إلى الله فعليه أن يدعو بالقول الحسن ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ

﴿ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ۝ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ (فصلت: ٣٣/ ٣٥)

وأن تكون الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة ﴿ ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ ﴾ (النحل: ١٢٥)

الإحسان في المال: الإحسان في المال معناه إنفاق ما فاض عن حاجة المالك في المصلحة العامة وأن يكون الإنفاق وسطا بين التقتير والإسراف وقد جاء في وصف عباد الرحمن: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَنفَقُواْ لَمْ يُسْرِفُواْ وَلَمْ يَقْتُرُواْ وَكَانَ بَيْنَ ذَٰلِكَ قَوَامًا ﴾ (الفرقان: ٦٧) ، أي يكون الإنفاق وسطا .

والإحسان في المال مجال من المجالات التي يتفوق فيها مسلم على مسلم وهو يوفر معنى الإسلام معنى التعاطف والترابط بين أفراد المجتمع؛ وذلك يدل على قوة الإحساس بالأخوة الإسلامية التي تجعل المجتمع يحس بأنه كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر.

والإحسان في المال يصفي النفوس من رواسب الحقد ويشعر المحروم العاجز والجاهل والمريض بأن أي فرد منهم له اعتباره البشرى وأن له إخوة يحسون بإحساسه ويعملون على إنقاذه مما هو فيه ،وقد جاء في وصف المتقين في القرآن الكريم: ﴿ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ وَفِيٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ۝ ﴾ (الذاريات: ١٥/ ١٩) ، والمحسن ينظر إلى ما ينفقه على أنه غنم تقرُّ به عينه وتسر به نفسه لأنه قربى إلى الله تعالى .

ويكثر الإحسان في المال حينما يكون المجتمع سليما قوى الصلة بالله يعمل أفراده على ما فيه مصلحة المجتمع طبقا لمنهج الله تعالى ، ولو تعودنا أن مجتمعا إسلاميا لا يتصف أفراده بصفة الإحسان بالمال لأدركنا أن هذا المجتمع سيتفكك من روابطه وستنتشر معاني الحقد والحسد في نفوس الفقراء والمرضى والمحتاجين ويبدأ الصراع الذي لا يعلم مداه إلا الله .

والزكاة تضمن الحد الأدنى للرعاية الاجتماعية الأولية التي تحمى المجتمع من التمزق،ولكن الإحسان يتكفل بما زاد عن هذا القدر الضروري في سبيل المحافظة على كيان المجتمع وبقائه عزيز الجانب؛ولذلك حث الإسلام على الإحسان في المال في قوله تعالى:﴿ مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ أَضْعَافًا كَثِيرَةً ۚ وَٱللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُۜطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ (البقرة:٢٤٥)

وقال أيضا حاثا على الإكثار من انفاق المال : ﴿ مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ ۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ *ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُوا۟ مَنًّا وَلَآ أَذًى ۙ لَّهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ *قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴾ (البقرة:٢٦١/٢٦٣) ؛ وقد يكون الإحسان فرضا إذا احتاج إليه المجتمع .

وكان عدم بذل المال فيه تمزيق للمجتمع وإثارة للبغضاء بين النفوس وبداية لتقويض أركان المجتمع الإسلامي ،ومن هنا كان حث القرآن الكريم على الإنفاق في المال وكثرة الترغيب التي تشير إلى أن الإنفاق في الظروف غير العادية قد يصل إلى مستوى الوجوب مما يدل

على أهمية حياة المجتمع إيجابيا وسلبيا ،وقد سأل بعض الصحابة عما ينفقونه فقال لهم: ما يفيض عن حاجتهم حسبما تكون مصلحة الأمة ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلِ ٱلْعَفْوَ ﴾ (البقرة: ٢١٩) .

ولعل من أسباب الفرقة بين المسلمين في العصر الحاضر اختلال توزيع الثروة الإسلامية من جانب وقلة الإحسان في الإنفاق مما نتج عنه مشكلات اجتماعية وسياسية متنوعة ، ووعى المسلمين في أنحاء الأرض بالتكافل عن طريق الإحسان إلى جانب الزكاة يجعل منفعة المال للمسلمين جميعاً فتبقى الإخوة والمودة والترابط ولا يوجد مجال للانقلاب أو الاقتتال أو التربص بالأشياء التي تبعث القلق وتنشر الخوف في أرجاء المجتمعات .

في الفترات التي كان الإحسان في القول والإحسان في العمل في كل مجالاته يسود المجتمع الإسلامي كانت الأمة تنطلق في أداء مهمتها في هذه الحياة وكانت تظهر فيها قمم شامخة وعظيمة نفسية وروحية تتكاثر وقويت الروابط التي شملت العالم الإسلامي كله وفاضت منه إلى غير المسلمين وظل المجتمع الإسلامي متماسكا متكافلا تربط روح الإخاء والمودة ، ذلك كله كان أثر العبادة الحقه لأن المسلم يعبد الله كأنه يراه .

وكانت نفوسهم تتفرق أحيانا وتجتمع أحيانا تعيش على حب الله والعمل في سبيله وعبادته كأنها تراه وكان حرص الإسلام على ألا يقف المسلمون عند أول مراتب الإسلام ولا أول مراتب الإيمان إنما يحاولون بلوغ مزية الإحسان وهى المرتبة التي تجعل المسلم قادرا على أداء رسالته في هذه الحياة كما أداها صحابة رسول الله ﷺ ، الإسلام وتمنع هي الأخرى تطبيق الحل الإسلامي للمسلمين والأمة الإسلامية .

إن الله تعالى زرع في قلوبنا الشجاعة بدل الخوف،والشهامة بدل الجبن،والثبات بدل التزعزع وهاهو كتاب الله بين أيدينا،فلماذا لا نقرأ قوله تعالى:﴿ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾(المائدة: ٣)

مقابلة السيئة بالحسنة : عن ابن المسيب قال "بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس في أصحابه رضي الله عنهم وقع رجل بأبي بكر رضي الله عنه فإذاه فصمت عنه أبو بكر،ثم إذاه الثانية فصمت عنه ثم إذاه الثالثة فانتصر أبو بكر رضي الله عنه فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر أوجدت عليَّ يا رسول الله ؟ قال لا،ولكن نزل ملك من السماء يكذبه بما قال لك؛فلما انتصرت ذهب الملك وقعد الشيطان فلم أكن لأجلس إذا قعد الشيطان" أخرجه أبو داود ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: "لا تمار أخاك فإن المراء لا تفهم حكمته،ولا تؤمن غائلته،ولا تعد وعدا فتخلفه" أخرجه رزين .

المساواة في الإسلام

المساواة كلمة محببة إلى نفس كل إنسان في هذا الوجود وكل فلسفة تخطط وتنظم وتقول إن النظام فيه المساواة الكاملة،مع أن كل فلسفة لها مفهومها الذي قد يختلف أو يتضاد مع الفلسفات الاخرى .

والإسلام الدين السماوي يرى أن المساواة تبدأ من تحرير الوجدان البشرى من عبادة غير الله ومن الخضوع لأحد غير الله تعالى خالق الكون وخالق البشر،فالله سبحانه وتعالى خلق الناس جميعا من أب واحد ومن أم واحدة :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا

وقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ﴾ (الحجرات:١٣) ، وهو الذي طلب من عباده أن يعبدوه وحده ولا يشركوا به شيئا ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ ﴾ (النساء:٣٦) .

والناس متساوون جميعا في الاتصال بالله خالقهم بدون أن تكون هناك وساطة بين إنسان وبين خالقه حتى ولو كان النبي الذي أرسله الله لهداية وعباده :﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ﴾ (البقرة:١٨٦) .

وإذا ثبتت هذه المعاني في نفس أي إنسان فإنه يحس بالعزة الكاملة والمساواة بينه وبين أي إنسان في هذا الوجود،ثم إنه لا يخاف من أي إنسان مهما كان عظيما أو صاحب جاه،فالرازق بيد الله الخالق والنافع والضار هو الله سبحانه وتعالى،ومن هنا فإن الإنسان لا يخاف من أي شيء ولا يخاف على أي شيء وبذلك يتحرر الإنسان من كل خوف ويحس بالمساواة الكاملة بينه وبين أي إنسان في هذا الوجود وبخاصة وأنه يحس بأن الإنسان القريب من الله ليس صاحب المال أو صاحب الجاه إنما القريب من الله هو الذي يتقى الله ويخشاه ويرعى كل شيء في الوجود طبقا لمنهج الله :﴿ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ ﴾ (الحجرات:١٣) .

وإذا ثبتت هذه المعاني في نفس الإنسان فإنه سيعمل على تحقيق المساواة بأي أسلوب مشروع ولا ينتظر من يمن عليه بهذا وسيحرص على وجود المساواة بين الناس جميعا الغنى والفقير القوى والضعيف وذلك ما تم تطبيقه في العصور الأولى للإسلام وفي كثير من العصور التالية .

ومن هنا فإننا لن نجد في المجتمعات الإسلامية من يدعى أنه من نسل

الآلهة أو أن الدم الذي يجرى في عروقه إنما هو الدم الملوكي الأزرق يقول الشهيد سيد قطب في كتابه"العدالة الاجتماعية في الإسلام"(في الوقت الذي كانت فيه بعض الملل والنحل تفرق الشعوب إلى طبقات خلق بعضها من نسل الإله فهي مقدسة وخلق بعضها من قدميه فهي منبوذة؛وفي الوقت الذي كان الجدل يدور حول المرأة : أهي ذات روح أم لا روح فيها وفي الوقت الذي كان فيه يباح للسيد أن يقتل عبيده ويعذبهم لأنهم من نوع آخر غير نوع السادة .

في هذا الوقت جاء الإسلام ليقرر وحدة الجنس البشرى في المنشأ والمصير وفي المحيا والممات في الحقوق والواجبات،أمام القانون وأمام الله في الدنيا والآخرة لا فضل إلا للعمل الصالح ولا كرامة إلا للأتقى،والقرآن الكريم يكرر أن الناس جميعا مخلوقون لله تعالى من أب واحد وأم واحدة حتى يثبت هذه المعاني في نفوس الناس الذين يحاولون أن ينسوا هذه الناحية لسبب أو لآخر:﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ (النساء:١)

ولقد كان العرب في الجاهلية يتعصبون للقبيلة تعصبا أعمى فجاء الإسلام ليبرئ أتباعه من كل أنواع العصبيات الشيء الذي لم تصل إليه أية حضارة في القديم أو في الحديث .

والله سبحانه وتعالى سيحاسب كل إنسان وحده بدون أن يكون معه أحد فكل إنسان سيأتيه فردا يوم القيامة فيحاسبه على ما قدمت يداه وقد حرص النبي صلى الله عليه وسلم أن يبين للناس جميعا ؟أنه لا يملك لأحد من الناس نفعا ولا ضرا مهما كان قريبا منه ولذلك فقد ورد الحديث الذي رواه الشيخان عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:(يا

معشر قريش لا أغنى عنكم من الله شيئا يا بنى عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا يا صفية عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئا)

والجنس البشرى كله كرمه الله تعالى لا فرق بين إنسان وإنسان فالتكريم للجنس كله لا لقبيلة ولا لشعب فكلهم لآدم وآدم من تراب والله تعالى كرم آدم ولذلك فإن جميع بنى آدم مكرمون لا فرق بين واحد وآخر :﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾ (الإسراء: ٧٠) .

كرامة المسلم: المسلمون جميعا يحسون بكرامة كل فرد في المجتمع على عكس المدنيات قديمها وحديثها وفي المدنيات الحديثة نلاحظ أن الناس وأجهزة الدعاية والإعلام بكل أنواعها تتناول بعض الناس بأصناف من الغمز واللمز والاتهامات المختلفة بدون دليل بينما يحظر ذلك كله على بعض الناس من الأغنياء وأصحاب الجاه حتى وإن كان صحيحا، ومن هنا كان القرآن الكريم واضحا وصريحا في بيان أن السخرية والغمز واللمز والتنابز بالألقاب حرام على كل مسلم سواء أكان فقيرا أم غنيا أميرا أم عاملا :﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾ (الحجرات:١١) ، ونلاحظ أن التعبير بقوله ﴿ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ﴾ تعبير دقيق عميق الدلالة،فلمز المؤمن للمؤمن ما هو إلا لمز لنفسه لأن الجميع من نفس واحدة .

ولكل فرد في المجتمع كرامته وحرمته،والقرآن الكريم حرص

على إشعار كل فرد المجتمع الإسلامي بكرامته وبأن له حرمته التي لا يجوز أن ينتهكها عليه الآخرون مهما كانوا وليس هناك فرق بين إنسان وآخر في هذه الحرمة،فالإسلام هو الذي يحفظ هذه الحرمة لأنه هو الذي شرعها للناس جميعا﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا۟ وَتُسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ فَإِن لَّمْ تَجِدُوا۟ فِيهَآ أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ ۖ وَإِن قِيلَ لَكُمُ ٱرْجِعُوا۟ فَٱرْجِعُوا۟ ۖ هُوَ أَزْكَىٰ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴾ (النور: ٢٨) ،وفي سورة الحجرات يقول الله تعالى : ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ﴾ (الحجرات:١٢) .

أمثلة في المساواة : وقد تعود الناس أن يستمعوا إلى كلام يقال وعند التطبيق يختلف الكلام عن التطبيق،لأن الكلام سهل ولكن التطبيق هو الذي يدل على مدى الإيمان وعلى مدى الصلة بالله تعالى وعلى مدى التحرر الوجداني لقد كان الرقيق في كل مكان على وجه الأرض غير طبقة الأحرار وكذلك الأمر في الجزيرة العربية ولكن الإسلام غير كل ذلك ومن الأمثلة التطبيقية على ذلك في الإسلام زواج "زينب بنت جحش" سليلة قريش الهاشمية من زيد بن حارثة والذي زوجها هو النبي صلى الله عليه وسلم والزواج في جميع أنحاء الأرض مسألة حساسة وهو في الجزيرة العربية أكثر حساسية وتظهر المساواة الكاملة بين الزوج وزوجه وفي عصرنا الحاضر وفي الولايات المتحدة الأمريكية لا يجرؤ زنجي على الزواج من فتاة بيضاء أية فتاة بيضاء،بل إنه يحرم عليه دخول الكنائس والمدارس الخاصة بالبيض بل وركوب السيارات العامة الخاصة بالبيض لكن النبي صلى الله عليه وسلم طبق

هذا المفهوم الإسلامي على ابنة عمته ومولاه حتى تكون الأمور واضحة كل الوضوح وحتى يقتدي به المسلمون جميعا ٠

وحين آخى النبي صلى الله عليه وسلم بين المهاجرين والأنصار في أول الهجرة كان عمه حمزة بن عبد المطلب ومولاه زيد أخوين وكان ابو بكر وخارجة بن زيد أخوين وأبو رويحة الخثعمي وبلال بن رباح أخوين ولم تكن هذه الأخوة مجرد لفظ أو ناحية أدبية بل إنها كانت صلة الحياة التي تعدل صلة الدم صلة القربى في النفس والمال وسائر مظاهر الحياة ٠

وقبيل وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعث بمولاه زيد بن حارثة قائدا لغزوة مؤته ثم بابنه أسامة قائدا لغزو الرزم في جيش يضم كثرة من المهاجرين والأنصار فيهم أبو بكر وعمر بن الخطاب وهما اللذان أصبحا خليفتين بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم وفيهم سعد بن أبي وقاص،فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم وتولى أبو بكر ثبت القائد ثم سار يودعه إلى ظاهر المدينة وقد كان هذا المنظر فريدا في التاريخ فأبو بكر الخليفة يمشى على رجليه وأسامة القائد وهو ابن سبعة عشر عاما راكب فيستحى أسامة أن يركب والخليفة الشيخ يمشى فيقول :" يا خليفة رسول الله لتركبن أو لأنزلن " ، فيقول أبو بكر : "والله لا تنزل ولا أركب وما على أن أغبر قدمي في سبيل الله ساعة " ، ثم يرى أبو بكر أنه في حاجة إلى عمر وقد حمل عبء الخلافة على عاتقه ولكن عمر ما هو إلا جندي في جيش أسامة وأسامة هو الأمير فلابد من استئذانه فإذا بالخليفة يقول : " إن رأيت أن تعينني بعمر فافعل " .

وقد كان المجال مفتوحا في المجتمع الإسلامي أمام الموالي ليبلغوا أقصى مراتب المجد في كل اتجاه فقد كان عبد الله بن عباس

يذكر ويذكر معه مولاه عكرمة وكان عبد الله بن عمر يذكر ويذكر معه مولاه نافع وأنس بن مالك ومعه مولاه ابن سيرين وفي البصرة كان الحسن البصري وفي مكة مجاهد وعطاء بن رباح وطاووس هم الفقهاء وهكذا ·

هذا هو مفهوم المساواة في الإسلام من الناحية النظرية ومن الناحية التطبيقية مفهوم لم تصل إليه أية مدنية أو أية فلسفة وتطبيق لم يحدث مثله في التاريخ على امتداد الزمان والمكان ·

وهكذا يحمل المسلمون إلى البشرية هذا الدين الإلهي الذي يغير مفهوم الحضارة والمدنية ويعود بها إلى هذه الآفاق الرحبة الواسعة فيسعد الفرد ويسعد المجتمع ويحس الجميع بالحب والعطف والأمن والاطمئنان ﴿ صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَـٰبِدُونَ ﴾ (البقرة: ١٣٨) ·

مفهوم التعاون في الحضارات المختلفة

قال تعالى : ﴿ وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ۝ ﴾ (المائدة ٢)

البر : ما أطمأن إليه القلب

التقوى : ترك المنكرات

الإثم : كل ذنب

والذي يحدد هذه المعاني : الدين الذي يدين به المجتمع والعادات والتقاليد والفلسفات التي تسود المجتمع،وقبل البعثة النبوية كان يسود

كل مجتمع من المجتمعات دين إلهي محرف أو فلسفة من الفلسفات التي تحدد معاني هذه الكلمات ثم جاء الإسلام فغير كل هذه المعاني وجاء بمعاني صادرة من الله تعالى خالق البشر .

المسيحية في القرن السادس المسيحي : جاء بولس فطمس نور المسيحية وطعمها بخرافات الجاهلية والوثنية التي نشأ عليها ثم جاء قسطنطين فقضى على البقية الباقية وأصبحت بزيادات المحرفين وتأويل الجاهلين تحول بين الإنسان والعلم وأصبحت ديانة أقرب إلى الديانات الوثنية ، ثم ثارت حول الديانة المسيحية مجادلات كلامية شغلت فكر الأمة وتحولت إلى حروف أمية وكانت كل فرقة تقول للأخرى أنها ليست على شيء .

وقد بلغ الانحلال الاجتماعي والقلق الاقتصادي غايته في الدولة الرومية الشرقية وذابت الفضيلة وانهارت دعائم الأخلاق وكان العدل يباع ويساوم عليه مثل السلع .

وفي مصر التي أكرهت على النصرانية كانت تعاني البؤس والشقاء وكان أهل مصر يتقاتلون للانقسامات الدينية التي كانت تسود البلاد .

وكانت الحبشة على المذهب (المونوفيسي) وكانت تعبد أوثانا كثيرة استعارت بعضها من الهمجية وكانت تابعة للكرسي الاسكندري.

وكانت الأمم الأوربية الشمالية الغربية ترسخ في ظلام الجهل المطبق والحروب الدامية وكانت أوربا الغربية أسوأ حالا من ذلك،وكانوا يؤمنون إيمانا راسخا بكل ما ينقل إليهم من الأساطير عن دعاوى القداسة المزعومة .

اليهود : أورثهم تاريخهم الخاص القومية والإذلال بالنسب والجشع

وشهوة المال وتعاطى الربا؛أورثهم ذلك كله الخنوع عند الضعف والبطش عند الغلبة والختل والنفاق والقسوة والأثرة وأكل أموال الناس بالباطل والصد عن سبيل الله ، والصلة بينهم تقوم على الكراهية نحسبهم جميعا وقلوبهم شتى ٠

فارس : كان أساس الأخلاق فيها مزعزعا مضطربا وقد تزوج يزدجر الثاني أبنته ثم قتلها،وبهرام تزوج أخته وكان الزواج بالمحرمات سائدا وكان ذلك عملا صالحا يتقرب به إلى الله ٠

وظهر ماني في القرن الثالث المسيحي الذي دعا إلى حياة العزوبية لحسم الشر من العالم فحرم النكاح استعجالا للفناء وانتصار للنور على الظلمة بقطع النسل،وقد قتله بهرام عام ٢٧٦م ، وفي سنة ٤٨٧م أعلن مازدك أنه لا فرق بين الناس ومن المساواة التي نادى بها المال والنساء وجعل الناس شركة فيها كالماء والهواء ٠

وكان الأكاسرة ملوك فارس يدعون أنه يجرى في عروقهم دم إلهي وكان الفرس ينظرون إليهم كآلهة وكان اعتقادهم في البيوتات الروحية والأشراف من قومهم فيرونهم فوق العامة وثبت التفاوت بين الطبقات وكانوا يرون أن القومية الفارسية لها فضل على سائر الأجناس والأمم،وقد كانوا ينظرون إلى الأمم حولهم نظرة ازدراء وامتهان وقد عبدوا الله في قديم الزمان ثم عبدوا الشمس والقمر والنجوم وأجرام السماء ٠

وأصبحت الديانة عند المجوس عبارة عن طقوس وتقاليد يؤدونها في أمكنة خاصة في ساعات خاصة ٠

الصين : وكانت تسود الصين ثلاث ديانات ولم يكن عند الصينيين رسالة دينية للعالم يحلون بها مشاكله والأمم الأخرى في آسيا الوسطى

وفي الشرق كانوا يدينون بالبوذية الفاسدة أو الوثنية الهمجية والشهوة الجنسية الجامحة ونظام الطبقية الجائر ٠

وفي الهند كان يوجد منبوذون أشقياء وكان النساء يعاملن كالإماء فقد كان الرجل يخسر امرأته في القمار وكان لبعض النساء عدة أزواج ٠

العرب : امتازوا بالفصاحة وحب الحرية والأنفة والفروسية والشجاعة والحماسة في سبيل العقيدة والصراحة في القول وجودة الحفظ وقوة الإرادة، وكان الشرك هو دين العرب العام والعقيدة السائدة وكانوا يعبدون الأصنام ويرون أن الملائكة بنات الله وكان بعضهم يعبد الجن وبعضهم يعبدون الشمس وهكذا ٠

كان شرب الخمر منتشرا بصورة كبيرة وكان عدم الاشتراك في مجالس القمار عارا وكان الرجل يتاجر على أهله وماله وقد رسخ الربا فيهم وكان الزنا منتشرا وكانت المرأة معرضة للغبن تؤكل حقوقها وتبتز أموالها وبلغت كراهية البنات إلى حد "الوأد" وكانت العصبية القبلية منتشرة بصورة كبيرة وهانت عليهم إراقة الدماء حتى كانت تثيرها حادثة عادية كما حدث في حرب داحس والغبراء وغيرها ٠

أما النظام السياسي والمالي في عصر ما قبل الإسلام فقد كان يقوم على الأسس الآتية :

١- الملكية المطلقة وتقديس الوطن : وكانت الدولة تستهين بكل حق لغيرها وكانت الحكومة الرومية مثلا تبتز الأموال من الرعية لتكون غنيمة للحاكمين وكان الحكم يعتمد على القوة وحدها وكانت الأحوال السياسية والاقتصادية مضطربة حتى في مراكز الدولة وعواصمها ، وفي فارس كان نظام الجباية والخراج جائرا يتبع أخلاق الجباة وأهوائهم وقد اعتاد ملوك إيران في القديم أن يكتنزوا

النقود ويدخروا الأشياء الغالية،وكان الغنى لأفراد معدودين والفقر لمعظم الأهلين وقد أثقلت الضرائب المتنوعة المتجددة كاهل الجمهور حتى ترك المزارعون أعمالهم أو دخلوا الأديرة فرارا من الضرائب والخدمة العسكرية ٠

٢-الاضطهاد : اضطهد اليهود في الشام والعراق واليعقوبيون في مصر اضطهاد كبيراً،وفي الدولة الرومانية والفارسية استحوذت حياة الترف والبذخ على الناس وكان الحكام لا هم لهم إلا اللذة والبذخ وكان الناس يحاولون تقليد الملوك وكبراء الدولة وأصبح ذلك لهم عادة وكان من نتائج ذلك الزيادة الباهظة في الضرائب ٠

وأصبح هناك طبقتين متميزين :

١- طبقة الملوك والأمراء ورجال البلاط الملكي

٢- وطبقة الفلاحين والصناع والتجار الصغار وأهل الحرف

وهكذا ضاعت رسالة الأنبياء والأخلاق الفاضلة والمبادئ السامية ٠

من الجاهلية إلى الإسلام : وبعث الله سبحانه وتعالى نبيه محمداً ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ونادى في الناس (يأيها الناس قولوا لا إله إلا الله تفلحوا) ودعاهم إلى الإيمان برسالته والإيمان بالآخرة ودافعت الجاهلية عن نفسها،ومكث النبي صلى الله عليه وسلم ثلاثة عشر عاما في مكة يدعو الناس إلى دين الله وحدث له ما حدث من المقاومة بالأساليب المختلفة حتى تآمروا على قتله فهاجر تحت عناية الله إلى المدينة ٠

وفي المدينة التقى أهل يثرب بأهل مكة لا يجمع بينهم إلا الإسلام ، وانحلت العقدة الكبرى عقدة الشرك فانحلت معها كل العقد ولم يزل الرسول الكريم يربى المسلمين تربية عميقة دقيقة حتى أصبحوا في الدنيا رجال الآخرة وأنصفوا من غيرهم إنصافهم من أنفسهم وأصبحوا

للناس الصراط المستقيم وجدث أغرب انقلاب في تاريخ البشرية وكان هذا الانقلاب غريبا في سرعته وفي عمقه وفي سعته وشموله وفي وضوحه وكان تأثير الإيمان الصحيح في الأخلاق والميول رائعاً وظهرت الأخلاق الآتية :

١- وخز الضمير : إلى درجة أن يأتي ماعز إلى رسول الله ليقيم عليه الحد ويصر على ذلك ومثل ذلك فعلت الغامدية وقد أقام عليهما حد الزنا .

٢- الثبات أمام المطامع والشهوات :فكانوا يجدون ما يجدون في الفتوحات ثم يأخذون منه شيئا بل يسلمونه الى القائد .

٣-الأنفة وكبر النفس : وقد رفع الإسلام عزة نفوسهم فلم يحنوا رؤوسهم لملك ولا لقائد ولكن لله فقط .

٤- الاستهانة بالزخارف والمظاهر الجوفاء : لأن الله تعالى ابتعثهم لإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله ومن ضيق الدنيا إلى سعتها .

٥- الشجاعة النادرة والاستهانة بالحياة : حتى يلقوا ربهم وهو راض عنهم .

٦-الانتقال من الأنانية الواضحة إلى عبودية الله وحده والإيثار على النفس وقد رباهم النبي صلى الله عليه وسلم على الأسس الآتية :

١- اقتلاع جذور العصبية الجاهلية وقد طبقوا قول الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (النساء :١٣٥)

٢- المسؤولية لكل فرد مطبقين قول النبي صلى الله عليه وسلم:

(كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته) متفق عليه .

٣-لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق وأصبح كل فرد لا يأخذ إلا حقه وقد حل الرسول صلى الله عليه وسلم من المسلمين محل الروح والنفس ووجدنا نوادر الحب والتفاني تظهر بين صحابة رسول الله

كما وجدنا عجائب الانقياد والطاعة وقد حول الرسول صلى الله عليه وسلم خامات الجاهلية إلى عجائب الإنسانية وأصبح المسلمون كتلة بشرية متزنة فيها الكفاية التامة في كل ناحية من نواحي الإنسانية ٠

عهد القيادة الإسلامية

توفر في المسلمين الصفات الآتية :

١- أنهم أصحاب كتاب منزل وشريعة إلهية فلا يقننون من عند أنفسهم ٠

٢- أنهم تولوا مناصب القيادة والحكم بعد التربية الخلقية الإسلامية ٠

٣- أنهم لم يكونوا خدمة جنس ولا رسل شعب أو وطن وذلك استطاعت الشعوب أن تنال نصيبها من الدين والعلم والتهذيب والحكمة ٠

٤- أن الإنسان جسم وروح وهو ذو قلب وعقل وعواطف وجوارح وهو يعمل بهذه القوى مجتمعه متصلا بالشريعة الإلهية وأصبح الناس لا يجدون عائقا عن الإسلام وأصبح الطريق الى الله سهلاً ميسوراً آمنا ٠

وصارت طباع الناس وعقولهم تتغير وتتأثر بالإسلام من حيث يشعرون ومن حيث لا يشعرون ،لقد صاغ النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه صياغة جديدة ٠

وبعد فترات ظهرت تحريفات في الثقافة الإسلامية بسبب الاختراق الثقافي ومن ذلك :

١- فصل الدين عن السياسة ٠

٢- قلة الاهتمام بالعلوم العلمية المفيدة ٠

٣- بعض الضلالات والبدع ٠

وأصبح عدد كبير من المسلمين يفهمون بعض الأمور كما يفهمها الغربيين مخالفين في ذلك المفاهيم الإسلامية ومفهوم السعادة

والديمقراطية ومفهوم الصلة بين المسلمين وبين الكفار ودور التعليم في حياة الأمة وطريق التعليم ومفهوم التقدم والجمال وغير ذلك ٠

حضارة التوحيد

مفهوم الحضارة : الحضارة عبارة عن مجموعة من مظاهر الرقى في العالم وتطور أفراده وجماعاته من النواحي النفسية والعلمية والدينية ، كما تشمل النواحي المادية بجميع فروعها ٠

والحضارة الإسلامية انشأت حياة إنسانية وافقت تصوره وذلك في صورة واقعية وفقا لقول تعالى :﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (آل عمران :١١٠)

وفي ذلك قال ربعي بن عامر لرستم قائد جيش الفرس : (إن الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدالة الإسلام)

ومن هنا فإننا نرى أن أول أهداف الحضارة الإسلامية إذا ما اكتملت عناصرها،"الرقى الداخلي" نعم لقد أبطلت الحضارة الإسلامية العصبية العرقية والحقد الجنسي وشقت الطريق إلى الإخاء الإنساني وإلى العدل والمساواة وإلى نشر المحبة والمودة في كل جوانب الحياة ٠

وإذا ما أردنا أن نعيد الحضارة الإسلامية إلى حياتنا فلابد وأن نعمل جادين على تحقيق عناصرها في كل المجالات سواء أكان المجال

المعرفي أم المجال العاطفي أم المجال السلوكي .

والأسس التي تقوم عليها الحضارة الإسلامية هي :

أولاً: التوحيد : والتوحيد يعنى تنزيه الله تعالى عن كل مشابهة لما يعرفه الإنسان أو يتصوره،فالمسلم يؤمن بالله تعالى الواحد الأحد الحق وهذه العقيدة هي المصدر الوحيد الذي يتلقى منه المسلم موازينه وقيمه والتي يرجع إليه بروابطه .

وهذا المفهوم ينعكس على الفرد كما ينعكس على المجتمع كله وذلك يجعل المسلم متزناً يعطى في غير مقابل ويسير في طريق العدل والمساواة والإحسان .

ولذلك فإن عقول المسلمين وقلوبهم تلتقي على عبادة الله تعالى وتتضافر إرادتهم على عمران الدنيا وانشاء الحضارة فيها في ضوء الإرشاد الإلهي وذلك يزود النفس بالطمأنينة النفسية والراحة القلبية ذلك لأن الإسلام نظم للمسلم حياته كلها وربط شخصيته بالله تعالى وفي ضوء هذا الربط نظم له جوانب حياته كلها إن التزم به سار في طريق الله سبحانه وتعالى .

فالإسلام يزكى الغرائز ويحارب الشر في الإنسان وباب التوبة بعد ذلك مفتوح ....

والاستخلاف لا يتحقق إلا إذا تحققت عبودية الإنسان لله تعالى وهذه العبودية هي قمة التحرر الإنساني ومناط الاستخلاف والعبادة،وهى تجربة حياة كاملة يتوازن فيها الأخذ والعطاء .

ثم إن العبودية لله تعالى تحرر الإنسان من كل حاجة من حاجات الدنيا حتى ما يعتبر أساساً كلقمة العيش ولذلك كان الأنبياء عزلا من السلاح في وجه جبابرة أشداء معهم المال والجاه .

ثانيا: العلم : والعلم هو الأساس الثاني للحضارة الإسلامية ، وقد

رفع الله سبحانه وتعالى من شأن العلم والعلماء وفي الإسلام لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون والذين يخشون ربهم إنما هم العلماء وأول آية نزلت في القرآن الكريم :﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴾(العلق :١-٥) ٠

ومن هنا فقد انتشر العلم في الحضارة الإسلامية وامتدت ميادين البحث والتجربة واتخذ علماء المسلمين من آيات الله تعالى في كتابه المحكم حافزاً وأفكارا قائدة لهم في جميع نواحي الحياة ٠

وقد لاحظ علماء الغرب أن العلم في الإسلام قد انبثق من القرآن الكريم،كما أشار إلى ذلك "موريس بوكاي" في كتابه عن "التوراة والإنجيل" ٠

والإسلام يوجه العقل البشرى إلى أن يفتح بصيرته على عوامل التطور الحقيقية في المجتمعات ويستخدم طاقاته الواعية في تدبرها والبحث عن أسبابها ونتاجها ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾ (الرعد:١١) ٠

كما يوجهه إلى استخلاص الطاعة المادية وتذليلها لخدمة الإنسان

﴿ فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ ﴾ (الملك :١٥)

وقد فرض الله سبحانه وتعالى العلم على المسلمين وهو مرتكز على العقيدة في أصفي مبادئها فخاطب العقل والقلب معا وهى ميزة لم تشاركها فيها حضارة أخرى في التاريخ فأنشأت نظاما قائما على مبادئ الحق والعدل وفكرا قائماً على الدين والعقيدة ، وهى الحضارة الوحيدة التي لم تنفصل فيها الدولة عن الدين والتفاضل فيها بالتقوى والخدمة

العامة للناس ·

ثم إن العلم والتكنولوجيا النابعة منه والأخلاق التي جاء بها هي أمور لها معنى وأهمية لدى البشر ويمكن أن تصلح أساسا لقيام حضارة عالمية واحدة ·

والمذهب التجريبي في أصله مذهب إسلامي يقول "جب" في كتاب "الاتجاهات الحديثة في الإسلام" : (كما أعتقد أنه من المتفق عليه أن الملاحظات التفصيلية الدقيقة التي قام بها الباحثون المسلمون قد ساعدت في تقوية تقدم المعرفة العلمية العالمية مساعدة مادية ملموسة والتي عن طريق هذه الملاحظات قد وصل المنهج التجريبي إلى أوربا في العصور الوسطى) ·

ثالثا: <u>الإنسان</u> : ينظر الإسلام إلى الإنسان نظرة شاملة متماسكة من جميع النواحي في وجوده وفي حقيقته وفي رسالته في هذه الحياة

فالإنسان صاحب أمانة عهد الله تعالى بها إليه وهى عمران الأرض طبقاً لمنهج الله تعالى والتمتع بخيراتها في إطار الحق والعدل وقد جاء الإنسان إلى الأرض بلا مشكلات لأن هذه هي طبيعة حياة الإنسان على الأرض ويستطيع أن ينشئ حضارة عن طريق المعاناة والاجتهاد والعمل المستمر والخطأ والصواب ·

كما يستطيع أن يقبل على وظيفته في الحياة متفائلا مستعدا للكفاح والجهاد وبهذه الروح أقبل المسلمون بمثلهم وحكامهم على عمارة الأرض وإنشاء الحضارة فيها فكان لحضارتهم عظمتها وشأنها في التاريخ الإنساني كله ·

والإسلام يعمل على حفظ هذا الإنسان بكافة الطرق ومن ذلك وصله بالله تعالى وتحرير وجدانه من الخوف من أي شيء ما عدا الله خالقه ومن ذلك أيضاً إبعاده عن كل ما يضر صحته وعقله وروحه ·

فالتمتع بالصحة الجسمية والصحة النفسية أساس في الإسلام ومن هنا فقد نظم الزواج وتربية الأطفال وحدد دور كل فرد في الأسرة ، والزواج أساس الإنجاب والصلاة والزكاة والصيام والحج أسس الصلة بالله تعالى .

وقد وضح الإسلام للناس جميعا وحدة "النوع البشرى فهم جميعاً من ذكر وأنثى" وقد جعلهم الله تعالى شعوبا وقبائل ليتعارفوا وطلب منهم أن يتعاونوا على الخير لا على الشر،والمسلم بذلك يحس بانسجامه مع الكون أيضاً .

فالله سبحانه وتعالى خلق له ما في الأرض وسخر له الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والبحر ليأكل منه لحماً طرياً ويستخرج منه حلية يلبسها والأنعام خلقها له فيها دفء ومنافع ومنها يأكل وللناس فيها جمال حين يريحون وحين يسرحون وتحمل أثقالهم الى بلد لم يكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس وخلق الخيل والبغال والحمير ليركبوها وزينة وأنزل من السماء ماء لهم شراب ومنه شجر وبه ينبت لهم الزرع والزيتون والنخيل والأعناب ومن كل الثمرات .

والنفس البشرية فيها الاستعداد للانتقال الكامل من حياة إلى حياة ومن نظام إلى نظام أكمل منه وأنظف ولابد من إحلال التصورات الإسلامية محل التصورات الجاهلية .

والمؤمن يشعر باستعلائه بالإيمان حتى في وقت الهزيمة فهو يستعلى بشعوره وتقديره للقيم الإسلامية مع ضعف القوة وقلة العدد والمال وهو لذلك لا يتهاون أمام آية قوة لأنه يحس بأن الله تعالى معه وهو ناصره في النهاية .

ويهدف الإسلام إلى تربية الإنسان الصالح الذي يؤمن بالخير والعدل والمساواة بين الناس جميعاً والذي يسير على منهج الله تعالى في تحقيق

وظيفته في هذه الحياة،كما يربيه على التوازن والوسطية في كل أعماله .

وبذلك يكون متميزاً على جميع مخلوقات الله تعالى ويكون جديرا بتحقيق وظيفته في هذه الحياة،وتمتع مجموعات من الناس بالحياة الدنيا ليس دليلا على صحة سلوكهم ومعتقداتهم لأن كل خارج عن ميزان الإسلام وفي ذلك يقول الله تعالى : ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝ مَتَٰعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾(آل عمران:١٩٦، ١٩٧)

ومن هنا كانت وظيفة المسلمين العمل المستمر حتى يحققوا وظيفتهم طبقاً لمنهج الله تعالى .

رابعاً: المادة : والمادة عنصر أساسي في الحضارة الإسلامية ولكنها ليست هدفاً في ذاتها إنما الهدف عمارة الأرض طبقاً لمنهج الخالق سبحانه وتعالى والقيم الخلقية عنصر أساسي في نشاط الإنسان المسلم ولذلك فقد حرم الإسلام وأد البنات وحرم الربا كما حرم كل ما يؤثر في عقل الإنسان وفي جسمه .

ثم إن جميع القيم الاقتصادية مرتبطة من حيث التأثير والفاعلية بمجالات خاصة،تتصل بالعوامل الإنسانية ثم إن تحقيق وظيفة الإنسان في الأرض لا يتحقق بقوة الجسم والمادة فحسب ولكنه يتطلب شفافية الروح والتقوى أيضا وخطأ الحضارات المادية أنها ركزت عنايتها على تضخيم الحياة المادية من غير أن تعير الجانب المعنوي والخلقي أي اهتمام وكامن النتيجة أن الحضارة المادية لم تستطيع أن توقف حركات الانتحار والجرائم كما أنها لم تستطع أن تخفف من السأمة التي تفتك بالإنسان الغربي .

إن النجاح المادي مرغوب فيه ولكنه ليس غاية في ذاته فالفائدة من

كل نشاط أن يكون عنصرا في الفضائل الخلقية ولذلك فإن عبادة الله تعالى في أوسع معانيها تؤلف من الإسلام معنى للحياة الإنسانية ونلاحظ أن رسالة الإسلام توجه الإنسان إلى العمل الدائم في جميع المجالات ومنها الصناعة كما توجهه إلى العناصر التي تعتمد عليها ومنها الحديد والانتفاع به في مجالات كثيرة ومنها رد الاعتداء يقول الله تعالى : ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ ﴾ (الحديد:٢٥)

فالحديد صنو الكتاب في أداء وظيفة الإنسان في هذه الحياة ·

خامسا: الوقت : والوقت عنصر أساسي من عناصر الحضارة الإسلامية وهو لا يقدر بمال ولذلك فإن الناس يتحدثون عن أوقات العمل التي تذهب ولا تعود ولا تسترد وفي الأثر" ما من يوم ينشق فجره إلا وينادي : يا ابن آدم أنا خلق جديد وعلى عملك شهيد فاغتنم منى فإني لا أعود إلى يوم القيامة " ·

وأركان الإسلام تبين مدى أهمية الوقت في الإسلام فالصلاة لها أوقات محددة والزكاة كذلك والصوم له شهر محدد وكل يوم يصوم فيه المسلم له بداية محددة ونهاية محددة وكذلك الحج له أعمال محددة في أوقات محددة فإذا مضى وقت طويل أو قصير دون عمل فمعنى ذلك أننا افتقدنا الضابط الذي يربط بين الأشياء وأهدافها لأن سياستنا تجهل وسائلها وثقافتنا لا تعرف مثلها العليا وفكرتنا لا تعرف التطبيق ·

والإسلام يأمر بالعمل في جميع الأوقات حتى إذا قامت الساعة وفي يد المسلم فسيلة فعليه أن يزرعها وله بذلك أجر ·

وحدة المسلمين في عالم يتجه نحو

التكتلات الإقليمية

لقد أقام الاستعمار فواصل غير طبيعية بين أجزاء الأمة الإسلامية فأصبحت مجموعة من الدويلات الصغيرة كما أنه عمل على إقامة المشكلات والحروب بين الدول الإسلامية وترتب على ذلك

١- احتلال توزيع الثروة .

٢- سوء استخدام الموارد الأكثر توافرا بكل منطقة .

٣-استمرار تحقيق هدف الاستعمار من خيرات المنطقة وجعلها سوقا لمنتجاته .

وبذلك أصبح العالم الإسلامي كله يقع في دائرة الدول المتخلفة،مع أنه يملك كل وسائل التقدم،ومظاهر التخلف تظهر في :

- رداءة استخدام أدوات وأساليب معينة مما يدل على فساد الحياة السياسية والاجتماعية والثقافية لهذا المجتمع .
- استخدام الموارد الطبيعية استخداما غير سليم وعدم الانتفاع الذي يحقق التنمية .
- عدم الالتزام بمفهوم الأمة الواحدة والدار الواحدة مع أن القرآن الكريم يقول : ﴿ وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ﴾ (الأنفال :٤٦) .
- عدم وعى المسلمين بمسؤوليتهم الكاملة مع أن كل مسلم راع ومسئول عن رعيته .
- التدخل الخارجي في جميع المجالات .

عوامل التخلف الاجتماعي : أزمة العالم الإسلامي ليست في طبيعة مشاكل المجتمع بقدر ما هي في موقف الإنسان المسلم بالنسبة

للمشكلات ومستوى المشكلات يأتي في الدرجة الأولى ، فهناك مشكلات ذات صبغة قومية ينبغي أن نجد لها حلولا في البلاد نفسها التي تبدو فيها ·

ترى ما أسباب ذلك كله ؟ لقد شغل هذا الموضوع فكر الفيلسوف الجزائري المسلم مالك بن نبي وكتب فيه الكثير وألف فيه كتابه (فكرة كومنولث إسلامي) وذهب إلى أن أسباب ذلك تظهر في الآتي :

أولا : أسباب جغرافية وسياسية : فالعامل الفني الذي ترتب في الفترة الأخيرة تمركز على محور واشنطون / موسكو أبرز مظاهر معينه،المساحة المخططة وهى المساحة الكبرى التي تتطابق مع وحدات جغرافية سياسية تواقة إلى البقاء او هي تكتمل في هذا الاتجاه : كتلة الحلف الأطلنطي، الاتحاد السوفييتي (سابقا)،(دول الكمنولث حاليا) الصين الشعبية،الاتحاد الهندي،وكلها نماذج متفاوتة الاكتمال لهذه المساحات المخططة التي تمركزت فيها القوة أو هي في طريقها، إلى هذا التمركز،وهى المشاكل التي تتصل بمساحات جغرافية كبيرة وكتل بشرية ضخمة ·

ثانيا : أسباب نفسية : ترى كيف كان الإنسان المسلم في عالم مخطط واضح للعامل الفني ولعامل القوة ومن ذلك مشروع السنوات الخمس في الصين الشعبية القضاء على ١٥٠ الف طن من الصراصير ·

أن الإنسان المسلم يستشعر أحيانا في هذا العالم المخطط عدم جدواه من حيث استشعاره لما هو واقع من التاريخ يصنع بدونه ·

المسلم يأخذ بعين الاعتبار أن العالم الإسلامي يحمل في طواياه بذورا ثورية ولكن :

- هل يستطيع العالم الإسلامي انجاز ثورته حسب اطراد محدد متسق بمشروع يؤخذ فيه اعتبار العناصر النفسية والعوامل الاجتماعية

الخاصة بالمجتمع الإسلامي الراهن ؟

- أو أن العالم الإسلامي سيجد نفسه منقادا لعدم توافر توجيه سديد حسب مشروع معد وبضرورات تكفيه مع تطور عالمي ينفك في إسراع راتب يتزايد يوما فيوم إلى ثورة لا يكون مسيطرا عليها وهنا مأزق ولابد من وضع تخطيط للعالم الإسلامي أولا في المجال الأخلاقي .

المظهر الفني : وعنده التنفيذ نجد أننا بإزاء عوامل إسلامية جديدة ، وتخطيط العالم الإسلامي يجب أن يبدأ بالضرورة من عملية متكاملة من ناحية ومن عملية ترتيب من ناحية أخرى والمظهر الفني يعانق هاتين العمليتين .

وعند الدراسة نحتاج إلى أعداد من المعطيات العضوية والضرورات المنطقية ، فالوحدة الروحية تكون عاملاً أساسياً من الوجهة النفسية في تماسك مشروع وفي التوفيق بين عناصره ، ولا تستطيع الوحدة أن تقوم فعليا بدورها الكامل إلا إذا تجسمت في صورة موائمة تمثل بشكل إنساني إرادة العالم الإسلامي الجماعية ،وذلك يستلزم مراجعة النظر في مشكلة الخلافة على ضوء المعطيات الراهنة للعالم الإسلامي .

فالكومنولث الإسلامي لكي ينظم نفسه في علاقته الوظيفية بمعطيات تطوره الخاص وبضرورة تكيفه مع تطور عالم مخطط يمكن أن يعرف كاتحاد فدرالي بين العالم الإسلامي يترأسه مؤتمر إسلامي يقوم بدور الهيمنة المفتقرة لهذا الاتحاد إلى جانب أن التقسيمات الفيدرالية يجب أن تتلاقى مع الاتجاهات الطبيعية للتطور التاريخي والاقتصادي والسياسي .

اعتبارات هامة : ولكي نصل إلى كومنولث إسلامي فإن العمل يجب أن يجرى في المجال الداخلي وعلى المحيط العام معا .

في الداخل يتناول التحقيق موضوع العناصر العضوية الخاصة بالعالم المكتشف العناصر التي تكون هويته وأصالته ·

وعلى المحيط العام : يتناول التحقيق موضوع العناصر النفسية التي يمكنها أن تضم العالم المشار اليه إلى العوامل الإسلامية الأخرى تحت المبدأ الكامل ·

والتحقيق يقع ابتداء من الداخل إلى المحيط فينتهي إلى نقطة التقاء مركزية والنزوع إلى الاتصال يجب أن يأتي من الداخل متجها صوب نقطة التقاء العالم الإسلامي ·

وذلك يعبر عن الإرادة الجماعية ويحقق التكامل وتوزيع العمل على لجان محلية مكلفة بدراسة المشروع يمثل الحجر الأساسي في البناية والعمل الدراسي لهذه اللجان سيكون العمل التكويني ويكون الكومنولث الإسلامي قد ولد من خلال الأفكار ولم يبق غير دخوله في عالم الوقائع التاريخية ومواصلة العمل تحتم بينها مبادلات تربطها بقاعدة مجمعة أو جهاز مركزي وتيار الفكر الإسلامي هو الهدف الذي أوجدت هذه اللجان من أجله وبذلك يكون الالتقاء في نقطة معينة ·

أن بذرة الحياة ليست سوى مجرد رمز في اللحظة التي تضعها العناية في رحم الام ما وزنها ؟ لا شيء ، ومع ذلك فهذه البذرة أنتجت الأنبياء والعبقريات الكثيرة واللجان الصغيرة قد تبدو بلا معنى ومع ذلك فإن عالما كاملا يمكن أن ينشأ عن هذا الالتقاء ·

الاضطراب : ونحن نفتقد التنظيم الداخلي وإلى جانب ذلك فإن العالم الإسلامي لا يمنح الفرد كل الضمانات الاجتماعية لتحسين عمله اليدوي أو الفكري ولا يتيح له أن يجنى ثمار هذا العمل ·

المسلم يولد في مجتمع لا يقدم كل الضمانات الضرورية لاكتماله الاجتماعى ثم إن حظوته كمسلم أكثر ضالة في المنافسة العالمية من

جراء بعض العوامل السلبية التي أثرت على تطور العالم الإسلامي منذ بضعة قرون والفوضى في الأفكار والأشياء كان من نتائجها انعدام الأمن في المجتمع والبلبلة في الأفكار والاضطراب في الأرواح .

فكناك تبعية مشتركة بين الحالة الاجتماعية والحالة الأخلاقية في وسط معين .

فالفوضى الاجتماعية تظهر في أشكالها المختلفة الاقتصادية والفكرية وتتيح الاضطراب الأخلاقي ولذلك فإن اضطراب المسلمين ليس إلا نتيجة مباشرة لذلك الفاصل الذي يستبين له أن التطور الصناعي الراهن للعالم قد زاد من تخلف المجتمع الإسلامي بالنسبة إلى الإيقاع العام .

ومن هنا فإن فكرة إنشاء كومنولث الإسلامي بصورة متدرجة بدأت تنتشر بنشر مفاهيم الأخوة الإسلامية الشاملة فالمسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا والمسلمون جميعا كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر وبالدعوة إلى الاعتصام بحبل الله المتين والصراط المستقيم وبالدعوة إلى القيام بأعمال مشتركة بين الدول الإسلامية تتطور شيئا فشيئا ، وإلى أن تكون بلاد المسلمين وطنا لكل المسلمين مهما اختلفت بلادهم وإلى حرية التنقل لعناصر الإنتاج من علماء وعاملين ورأس مال وإلى إزالة العقبات القانونية والجمركية والإدارية وإلى حرية التملك والعمل والتعاقد بحيث تكون مكفولة لكل مسلم في البلاد الإسلامية ونشر مفهوم التكافل الكامل بين أبناء المسلمين جميعا مع ملاحظة الأمية المنتشرة بجميع أنواعها والفقر المنتشر بجميع مستوياته والإذلال المستمر للمسلمين في بعض البلاد الإسلامية وفي الدول غير الإسلامية .

والتكافل المطلوب يشمل التكافل الأدبي والأخلاقي والعلمي والاقتصادي والسياسي والدفاعي والحضاري والمعاشي وبذلك تحل مشكلات العالم الإسلامي ويصبح قادرا على التقدم التقني والإنتاج والتصنيع ·

وبذلك يمكن للمجتمع الإسلامي أن يؤدى دوره الحضاري في خدمة نفسه وفي خدمة العالم كله ، وبخاصة وأن الحضارة الغربية لم تعد قادرة على التحكم في مسار التقنية ·

والدول غير الإسلامية يكون التعامل معها على أساس التعامل بالمثل ، مع ملاحظة قول الله تعالى :﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾(المجادلة :٢٢) ·

وبذلك يبدأ العالم صفحة جديدة في التقدم الشامل الكامل الذي يجعل الأمة الإسلامية أمة واعية فاهمة منتجة مؤثرة قادرة على أداء دورها في المجتمعات الإنسانية ·

والشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله تعالى يقول : وهذا لا يمس سلطان ذي سلطان يقوم بالحق والعدل في المسلمين ولا شكل الحكم في الأقاليم الإسلامية ، لأن الإسلام منهج حياة كاملة ملحوظ فيه نواميس الفطرة التي تعرف النفس البشرية في كل أطوارها وأحوالها وعقيدة الإسلام مستوعبة لكل قضايا الحياة على مستوى عال بل على أعلى مستوى ·

فالقرآن الكريم كتاب الله الموثق المشتمل على كل ما يحتاج إليه الإنسان في نفسه وفي أسرته وفي مجتمعه وهو متفق مع حقائق الكون المادية التي ستنتهي إليها العقول في مستقبل الأيام ·

والإسلام ينظر إلى الإنسان نظرة شاملة من جميع نواحيه الجسمية والنفسية والعقلية والاجتماعية ٠

وقد وصل المسلم في ذروة الاستقلال العقلي بإيمانه بالله تعالى وتحرير وجدانه من عبادة غير الله تعالى وحمل المسلمون رسالة الإسلام كاملة وحرروا البشر المستعبدين وحولهم من عبادة العباد إلى عبادة الله تعالى ومن ضيق الدنيا إلى سعة الدنيا والآخرة واستمر المسلمون يحملون رسالة الإسلام قرونا طويلة ٠

استيقظوا بعدها إثر ضربات الاستعمار القاسية ، استيقظوا ولكنهم مازالوا يسيرون في اضطراب الأفكار واضطراب الاتجاهات واضطراب السلوك لأن الحرب العالمية الثانية ترتب عليها انتقال قيم الحضارة الغربية إلى العالم الإسلامى ؛ وبذلك زاد اضطراب العالم الإسلامي ، وفكرة الكومنولث الإسلامي يمكن أن تؤدى دورها ٠

نعم لقد فكر فيها الكثيرون من المسلمين ولكن الخطوات الحقيقية لم تبدأ بعد فلعل المثقفين في العالم الإسلامي يحملون لواء هذه الدعوة ويبدأون خطوات نافعة للفرد والمجتمع الخاص والمجتمع العام ٠

حينئذ يبدأ المسلمون دورا جديدا في أداء رسالتهم وذلك بالسير على الصراط المستقيم صراط الله الذي طلب من المسلمين أن يسيروا عليه حتى لا يتبعوا السبل الضالة فتفرق بهم عن سبيله ٠

وبذلك تحقق الأمة الإسلامية دورها الذي أعدها الله تعالى له ، يقول الله تعالى : ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾ (الأنعام : ١٥٣) ٠

التكافل والتضامن في وثيقة المدينة :

بعد بناء المسجد ومؤاخاة الأنصار والمهاجرين، كان لابد لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن يتجه لكتابة وثيقة بين المسلمين وغيرهم ممن يعيشون معهم في حاضرة الإسلام الأولى المدينة المنورة كركن هام من أركان قيام المجتمع الجديد وكركيزة من مرتكزاته الدستورية؛ جاء في سيرة ابن هشام " أن النبي صلى الله عليه وسلم لم تمض له سوى مدة قليلة في المدينة حتى اجتمع له إسلام عامة أهل المدينة من العرب ولم تبق دار من دور الأنصار إلا أسلم أهلها، عدا أفراد من قبيلة الأوس " .

على ذلك فقد أصبحت الأغلبية العظمى من سكان المدينة من المسلمين فصارت بحق دارا للإسلام يحق أن تقوم فيها المعاهدات والمواثيق باسم الإسلام وهذا ما فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم مع اليهود الذين يحاربون المسلمين في المدينة فكتب عليه الصلاة والسلام كتابا بين المهاجرين والأنصار وادع فيه اليهود وعاهدهم واقرهم على دينهم وأموالهم واشتراط عليهم .

والوثيقة التي وردت في كتب التاريخ والسير الإسلامية طويلة ونجتزئ هنا البنود الهامة بنصوصها الواردة في كتابه عليه الصلاة والسلام حسب ما جاءت في كتاب فقه السيرة للدكتور محمد سعيد رمضان البوطى (صفحة٢٠٤-٢٠٥) .

١- المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس .

٢- هؤلاء المسلمون جميعاً على اختلاف قبائلهم يتعارفون بينهم

ويفقدون عانيهم (أسيرهم) بالمعروف والقسط بين المؤمنين

٣-إن المؤمنين لا يتركون مفرحاً (المثقل بالديون الكثير العيال)بينهم أن يعطوه في فداء أو عقل ٠

٤- إن المؤمنين المتقين،على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظلم أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين (والدسيعة.. العظيمة) وأن أيديهم عليه جميعا ولو كان ولد أحدهم ٠

٥- لا يقتل مؤمن مؤمنا في كافر ، ولا ينصر كافراً على مؤمن

٦-ذمة الله واحدة يجير عليهم أدناهم والمؤمنون بعضهم موالي بعض دون الناس ٠

٧-لا يحل لمؤمن ، أقر بما في الصحيفة وآمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثا أو أن يؤويه ، وأن من نصره أو آواه فإن عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة، لا يؤخذ منه صرف ولا عدل ٠

٨-اليهود ينفقون مع اليهود ماداموا محاربين ٠

٩-يهود بنى عوف أمة مع المؤمنين ، لليهود دينهم ، وللمسلمين دينهم إلا نفسه وأهل بيته ٠

١٠-إن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم ، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة ٠

١١-كل ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو أشجار يخاف فساد، فإن مرده إلى الله عز وجل وإلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

١٢- من خرج من المدينة آمن ومن قعد آمن إلا من ظلم وأثم ٠

١٣- إن الله على أصدق ما في الصحيفة وأبره ، وإن الله جار لمن بر واتقى ٠

هذه الوثيقة التي هي الخطوة الثالثة من خطوات بناء المجتمع

الجديد في المدينة المنورة تدل مع سابقيتها·· بناء المسجد والمؤاخاة على أن القائد الذي لا ينطق عن الهوى ، كان يخطط بوحي من ربه هذا التخطيط السليم لبناء المجتمع الإسلامي المتكامل ·

فالمسجد مركز هذا المجتمع الجديد ، ملتقاه لعباداته وتصريف جميع شؤون الحياة الأخرى ، والمؤاخاة جاءت انطلاقا من العقيدة السليمة للتعاون على البر والتقوى والتكافل السليم ، ثم تأتى هذه الوثيقة تعبيراً صادقا عن دستورية هذا الترابط الإسلامي الوثيق على أساس من البر والتقوى ·

وقد حلل الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي هذه الوثيقة تحليلاً مسهباً نتناول منه جانب الشريعة الإسلامية فقد أورد في هذا الجانب أن الوثيقة دلت على أحكام هامة في الشريعة الإسلامية وذكر منها :

أولاً : يدلنا البند الأول منه على أن الإسلام هو وحده الذي يؤلف وحدة المسلمين ، وهو وحده الذي يجعل منهم أمة واحدة ، جميع الفوارق والمميزات تذوب بينهم في إطار هذه الوحدة الشاملة (المسلمون من قريش ويثرب ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أمة واحدة من دون الناس) ·

ثانياً : "يدلنا البند الثاني والثالث على أن من أهم سمات المجتمع الإسلامي ظهور معنى التكافل والتضامن فيما بين المسلمين بأجلى صوره وأشكاله، فهم جميعا مسئولون عن بعضهم في شؤون دنياهم وآخرتهم، وأن عامة أحكام الشريعة الإسلامية إنما تقوم على أساس هذه المسؤولية، وتحدد الطرائق التنفيذية لمبدأ التكافل والتضامن فيما بين المسلمين" ·

ثالثاً : "يدل البند السادس على مدى الدقة في المساواة بين

المسلمين لا من حيث أنها شعار براق للزينة والعرض ، بل من حيث أنها ركن من الأركان الشرعية الهامة للمجتمع الإسلامي يجب تطبيقه بأدق وجه وأتم صورة ؛ وحسبك مظهراً لتطبيق هذه المساواة بين المسلمين ما قرره النبي صلى الله عليه وسلم في هذا البند بقوله"ذمة الله واحدة، يجير عليهم أدناهم" ومعنى ذلك أن ذمة المسلم أيا كان محترمة وجواره محفوظ لا ينبغي أن يجار عليه فيه، فمن أدخل من المسلمين أحداً في جواره،فليس لغيره حاكماً أو محكوما أن ينتهك حرمة جواره هذا؛ والمرأة المسلمة لا تختلف في هذا عن الرجل فلجوارها أيا كانت من الحرمة ما لا يستطيع أن ينتهكه أي إنسان مهما علت رتبته ،وبلغت منزلته وذلك بإجماع عامة العلماء وأئمة المذاهب ، غير أنه يشترط لذلك شروط معينة ذكرها الفقهاء، كأن لا تكون إجارة تضر بالمسلمين، كإجارة الجاسوس مثلا وأن تكون لعدد محصور وأن تكون لمدة محددة بحيث لا تزيد على أربعة أشهر (مغنى المحتاج ٤/-٢٣٨) .

رابعاً : يدلنا البند الحادي عشر على أن الحكم العدل الذي لا يجوز للمسلمين أن يهرعوا إلى غيره في سائر خصوماتهم وخلافاتهم وشؤونهم إنما هو شريعة الله تعالى وحكمه ،وهو ما تضمنه كتاب الله تعالى وسنة رسوله ، ومهما بحثوا عن الحلول لمشكلاتهم في غير هذا المصدر ، فهم آثمون معرضون أنفسهم للشقاء في الدنيا وعذاب الله تعالى في الآخرة .

ويختتم الدكتور البوطي تحليله لهذه الأحكام الأربعة من وثيقة المدينة والخاصة بجانب الشريعة الإسلامية بقوله : " تلك هي أربعة أحكام انطوت عليها هذه الوثيقة التي أقام عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم الدولة الإسلامية في مجتمعهم الجديد " .

ومن منظور مفهومهم العميق لإسلامهم، فقد طبق المسلمون الأوائل الأسس الأولية لبناء المجتمع الإسلامي وقيام الدولة الإسلامية بالتطبيق الصحيح فجاءت سليمة من خلال الممارسة وعلى قواعد هذه الأسس المتينة انطلق البناء شامخاً ومتيناً ٠

الخاتمة

من الملاحظ أن الغرب استطاع عن طريق الغزو العسكري أولا ثم الغزو الاقتصادي والغزو السياسي والغزو الثقافي ثانيا أن يغير الكثير من المفاهيم الإسلامية وأن يربى مجموعات من المثقفين ومن حكام المسلمين تربية غربية حتى يستطيع أن يحقق كل ما يريد من الناحية الاقتصادية ومن الناحية السياسية ومن الناحية العسكرية ومن الناحية الاجتماعية ومن الناحية الثقافية ·

ولذلك فانه استطاع أن يمزق العالم الإسلامي إلى دويلات يحارب بعضها بعضا وكان من نتيجة ذلك انعدام الأمن في المجتمعات والبلبلة في الأفكار وبخاصة وأن العالم الإسلامي أصبح لا يمنح الفرد كل الضمانات الاجتماعية لتحسين عمله الفكري أو اليدوي ولا يتيح له أن يجنى ثمار هذا العمل ·

وإذا أردنا أن نخرج العالم الإسلامي من هذا المأزق فان علينا أن نعود إلى حضارة التوحيد التي تجعل المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا وكالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر وبالدعوة إلى الاعتصام بحبل الله المتين والصراط المستقيم وبالدعوة إلى القيام بأعمال مشتركة بعض الدول الإسلامية وبعضها الآخر تتطور شينا فشينا وإلى أن تكون كل بلاد المسلمين وطنا لكل المسلمين مهما اختلفت لغاتهم وبلادهم وإلى حرية التنقل بين عناصر الإنتاج من علماء وعاملين ورأس مال وإلى إزالة العقبات القانونية والجمركية والإدارية وإلى حرية التملك والعمل والتعاقد ونشر التكافل الكامل بين المسلمين جميعاً والتكافل المطلوب

يشمل التكافل الأدبي والأخلاقي والعلمي والاقتصادي والسياسي والدفاعي والحضاري والمعاشي وبذلك تحل مشكلات العالم الإسلامي ويصبح قادرا على التقدم التقني والإنتاج والتصنيع وغير ذلك ٠

وبذلك يمكن للمجتمع الإسلامي أن يعيد لحضارة التوحيد مجدها الخالد فتصبح الأمة الإسلامية أمة واعية فاهمة منتجة مؤثرة قادرة على أداء دورها في المجتمعات الإنسانية ٠

حينئذ يبدأ المسلمون دورا جديدا في أداء رسالتهم وذلك بالسير على الصراط المستقيم صراط الله الذي طلب من المسلمين أن يسيروا عليه وبذلك تحقق الأمة الإسلامية دورها الذي أعدها الله تعالى له يقول الله تعالى :﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴾ (الأنعام : ١٥٣) ٠

علي القاضي

فهرس

كتب صدرت للمؤلف

١- أضواء على التربية في الإسلام .
٢- وظيفة المرأة في المجتمع الإنساني .
٣- جامعات يوسف .
٤- الحدود في الإسلام هدية الله إلى البشرية .
٥- دور المرأة ومكانتها في الحضارات المختلفة .
٦- ماذا تعرف عن بديع الزمان النورسي .
٧- علم الإنسان في القرآن الكريم .
٨- الحضارة الغربية المترفة تسير إلى الهاوية .
٩- الإسلام يدلل المرأة .
١٠- معارك رمضانية فاصلة في تاريخ الإسلام .
١١- الفن بين الحضارة الإسلامية والحضارات الأخرى .
١٢- أضواء على الغزو الثقافي للمجتمعات الإسلامية .
١٣- مفاهيم إسلامية .
١٤- أوسمة إلهية لخير البرية .
١٥- لماذا أسلمنا ؟ .
١٦- أضواء على شخصيات إسلامية متميزة .
١٧- أضواء على افتراءات أعداء الإسلام على التاريخ الإسلامي .
١٨- أضواء على الحضارة الإسلامية .
١٩- الحضارة الإسلامية حضارة إنسانية شاملة .
٢٠- خمسة أسئلة عن الإسلام في العصر الحديث والإجابة عليها.
٢١- رجاء جارودي الفيلسوف الماركسي الذي أسلم .
٢٢- المنهاج الإسلامي لحل المشكلة التربوية في العالم الإسلامي .
٢٣- الحكمة في التشريعات الإسلامية .
٢٤- أوسمة نبوية .
٢٥- حضارة التوحيد .

كتب تحت الطبع

١- أضواء على كتب إسلامية حديثة .
٢- الإتكيت (فن الذوق) .
٣- المدينة المنورة عند الهجرة .
٤- مكة المكرمة عند الهجرة .